وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة قسنطينة
كليّة الشريعة والاقتصاد
جذع مشترك سنة ثانية

مذكرة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانيةLMD
السداسي الرابع

مقياس: التفسير والحديث التحليلي

من إعداد الدكتور: هشام شوقي

السنة الجامعيّة:

1439هـ/1440هـ
2018م/2019م

مقدمـة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ρ ، أما بعد:

يمرّ العالم المعاصر بمتغيّرات عديدة فكريّة وعلميّة أثّرت في كيان الأمة الإسلامية وشخصيّتها وفكرها، كيف لا ؟ والعالم الإسلامي يتعرّض لحملات شرسة وغزو رهيب في جميع المجالات العقدية والسياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، كما أن نصوص الكتاب والسنة تتعرض للتحريف وسوء الفهم؛ إما بقصدٍ وذلك من أجل تشويه الدين، وإما بغير قصد وذلك بسبب الجهل بالمنهجية العلمية التي يُتعامل بها مع هذين المصدرين وما لهما من خصوصية، ولذلك فإن على من أراد النجاة من الغرق في بحر تلك الفتن أن يتمسّك بالمنبع الصافي والوحي الإلهي ويبحث عن الهدي الصحيح والتوجيه الرشيد لجميع ما يطرأ عليه من مسائل ومواضيع وفق كتاب الله وسنة رسوله ρ، مصداقا لقوله ρ **« تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ »** رواه مالك في الموطأ، ولكن ينبغي أن يكون ذلك وفق منهجية علمية محكمة حتى تكون النتائج المتوصّل إليها صحيحة،وحتى لا يقع الباحث في الخلط والتحريف لنصوص الوحيين .

ومن هنا كان من المقاييس التي قُرّرت على طلبة السنة الثانية شريعة؛ مقياس "التفسير والحديث التحليلي"، الذي احتوت مفرداته على مسائل منهجية مهمة توضح لهم طريقة التعامل مع آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم ρ، وذلك من الناحيتين النظرية والتطبيقية، لتكون بمثابة تدريب يحذوا الطلبة حذوه في باقي بحوثهم وتعاملهم مع نصوص الوحيين .

وهذه مذكرة بين أيدي الطلبة كلفت بإنجازها وحاولت الاختصار في تحرير مفرداتها ما استطعت إلى ذلك سبيلا، نظرا لطول البرنامج وقصر الزمن الذي تدرّس فيه، فهما مادتان - "التفسير التحليلي" و "الحديث التحليلي" - أدمجتا في مادة واحدة – التفسير والحديث التحليلي - .

والله أسأل أن يوفقني للإخلاص في النية والصواب في القول .

مفردات مادة التفسير والحديث التحليلي:

*** أولا: مباحث تمهيدية:**

- مفهوم التفسير والتأويل والفرق بينهما، وأنواع التفسير: "التفسير بالمأثور وبالرأي" وحكم ذلك، وحال التعارض بينهما .
- العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر، والأُمور التي يجب على المفسِّر أن يتجنبها في تفسيره. والمنهج الذي يجب على المفسِّر أن ينهجه في تفسيره .
- مفهوم الحديث التحليلي وأهم مظانه .

*** ثانيا: التفسير التحليلي لبعض الآيات:**

- سورة الممتحنة: تسميتها والتعريف بها، وترتيبها وفضلها / المحاور الأساسية التي تناولتها السورة /مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها وسبب نزولها .
- تفسير الآيات الأربعة الأولى من سورة الممتحنة: 1-4 على المنهج الآتي:

1- شرح المفردات، 2- شرح الآيات مع تبيين وجه المناسبات بينها/ 3- المعنى الأجمالي للآيات. /4- هداية الآيات .

- تفسير الآيات: من 5-8 من سورة الممتحنة على المنهج الآتي:

1- شرح المفردات، 2- شرح الآيات مع تبيين وجه المناسبات بينها/ 3- المعنى الأجمالي للآيات. /4- هداية الآيات .

- تفسير الآيات: 9-13 على المنهج الآتي:

1- شرح المفردات، 2- شرح الآيات مع تبيين وجه المناسبات بينها/ 3- المعنى الأجمالي للآيات. /4- هداية الآيات .

*** ثالثا: الحديث التحليلي "نماذج لبعض الأحاديث":**

1- حديث "الأعمال بالنيات": ترجمة الرواة /اللطائف الإسنادية /أهمية الحديث / تخريج الحديث وحكمه . شرح المفردات الغريبة في الحديث /شرح الحديث /الأحكام والفوائد المستنبطة من الحديث .

2- حديث جبريل: "الإسلام والإيمان والإحسان". (نفس الخطوات).

3- حديث "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسه". (نفس الخطوات).

4- حديث "لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشوا، ولا تَبَاغَضُوا،...". (نفس الخطوات).

5- حديث "إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ...". (نفس الخطوات).

6- حديث "ما نَهَيتُكُمْ عَنْهُ، فاجْتَنِبوهُ، وما أمرتُكُم به، فأتُوا منهُ ما استطعتُم...". (نفس الخطوات).

7- الحديث القدسي: "يا عِبادي إنّي حَرَّمْتُ الظُّلمَ على نَفسي، وجَعَلْتُهُ بَينَكُم مُحَرَّماً فلا تَظالموا...". (نفس الخطوات).

وقد قسمت هذه المذكرة إلى بابين الأول: خاص بالتفسير التحليلي، والثاني: خاص بالحديث التحليلي، ثم قسمت كل باب منهما إلى ثماني محاضرات، حتى تكون أقرب لتصور الطالب لمفردات المادة ، فجاءت هذه المذكرة مقسمة كالآتي:

الباب الأول: التفسير التحليلي:

ويحتوي على ثماني محاضرات:

1- المحاضرة الأولى: مباحث تمهيدية .

2- المحاضرة الثانية: مقدمات نظرية في التفسير التحليلي .

3- المحاضرة الثالثة: بين يدي السورة (الممتحنة) .

4- المحاضرة الرابعة: النهي عن موالاة الكفار (من الآية 1 إلى الآية 3) .

5- المحاضرة الخامسة: التأسي بإبراهيم والمؤمنين معه في تبرئهم من الكفار ولو كانوا أقرباء (من الآية 4 إلى الآية 7) .

6- المحاضرة السادسة: التفصيل في معاملة الكفار بين المباح والممنوع (من الآية 8 إلى الآية 9) .

7- المحاضرة السابعة: امتحان المؤمنين للمهاجرات والأحكام المتعلقة بذلك (من الآية 10 إلى الآية 11) .

8- المحاضرة الثامنة: مبايعة النبي ρ للمؤمنات (من الآية 12 إلى الآية 13) .

وتفصيلها كما يلي:

المحاضـرة الأولى: مباحـث تمهيديـة:

أولا – تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما:

أ - تعريف التفسير:

لغة: تدور مادة "فسر" في اللّغة حول: البيان والإيضاح، ومن ذلك قولهم: فسّرت الحديث: إذا بيّنته وأوضحته[1]، قال في اللسان: "الفسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"[2] .

وأما في الاصطلاح: فقد عرّف العلماء التفسير بتعريفات كثيرة ومتنوعة، من ذلك:

1- **تعريف أبي حيان** الذي قال: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك" .

ثم شرح تعريفه بنفسه فبيّن أن معنى **"كيفية النطق بألفاظ القرآن"** يقصد به علم القراءات و **"مدلولاتها"** هو علم اللغة والغريب، ومقصوده بـ **"أحكامها الإفرادية والتركيبية"** علم التصريف والإعراب وعلم البلاغة من بيان وبديع ومعاني، ومقصوده بـ **"ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب"** المجاز، ومقصود بـ **"وتتمات لذلك"** النسخ، وأسباب النزول، والمبهمات، ونحوها[3] .

2- **وعرفه الزركشي** فقال: "علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ρ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه" [4] .

3- **وعرفه الدكتور: حسين الذهبي،** بقوله: "علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البَشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد"[5] .

ب - تعريف التأويل:

لغة: التأويل **في اللغة:** مصدر على وزن «تفعيل» وفعله الماضي رباعي، وهو «أوّل»، تقول: «أوّل يؤوّل، تأويلا». وثُلاثيُّه آل يَؤُول؛ أي: رجع وعاد، فتأويل الكلامِ "لغة" هو الرُّجوع به إلى مرادِ المتكلِّمِ .

وذكر الإمام ابن فارس أن لفظ «أول» له أصلان، هما: ابتداء الأمر، وانتهاؤه .

فمن استعماله في الابتداء قولك: الأوّل، وهو مبتدأ الشيء. ومؤنثه: الأولى، مثل: أفعل وفُعْلى .

ومن استعماله في الانتهاء: الأيِّل، وهو الذكر من الوعول، وسمي أيّلا لأنه يؤول إلى الجبل وينتهي إليه ليتحصّن به[6].

وأما في الاصطلاح: فلفظ التأويل يختلف معناه بين المتقدمين والمتأخرين:

- **فعند المتقدمين له معنيان**:

---

[1] ينظر:جمهرة اللغة، لابن دريد، (2/ 718)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (فسر) (4/ 504).

[2] لسان العرب، مادة (فسر) (55/5) .

[3] البحر المحيط، لأبي حيان (121/1) .

[4] البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (13/1) .

[5] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (1/ 14) .

[6] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس مادة، كتاب الهمزة مادة **(أول)** (158/1- 159) .

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه؛ فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفَين، ومن ذلك قول الرسولِ ρ في ابن عباس (ت:68): «اللهمَّ فقِّههُ في الدِّينِ، وعلِّمْهُ التَّأويلَ»[1]؛ أي: تفسيرَ القرآنِ الكريمِ. **ولذا كان الطبري يقول**: القول في تأويل قوله كذا وكذا. واختلف أهل التأويل في هذه الآية. ونحو ذلك .

والثاني: هو نفْس المراد بالكلام، أي ظهورُ المُتكلِّمِ به إلى الواقعِ المحسوسِ وهذا لا يكون من جنسِ الكلامِ .

- **فإذا كان الكلام خبرًا** كان تأويله وقوع نفس الشيء المخبَر به، كمن يقولُ: جاء محمَّدٌ، فتأويلُ هذا الكلامِ مجيءُ محمَّدٍ بنفسِه، **و**من ذلك قوله تعالىٰ ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ الأعراف: ٥٣ ، فـ "تأويله" بمعنى: وقوعه، والمعنى: ماذا ينتظر الكفار حتى يؤمنوا، لا ينتظرون إلا وقوع أحداث يوم القيامة، ورؤيتها بعيونهم عند البعث .

- **وإذا كانَ الكلام طلباً** (أي: أمراً أو نهياً)، كان تأويلُه أن يفعلَ هذا الطلبُ، ومن ذلك ما أوردَ البخاري عن عائشة τا في تفسيرِ قوله تعالىٰ ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾ النصر: ٣ ، حيث قالت: كان رسول الله ρ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللهمَّ اغفر لي، يتأوَّلُ القرآن»[2]، أي: يمتثل ما طلب منه وهو: التسبيح والاستغفار .

وعلى هذا المعنى الثاني يكون الفرق بين التأويل والتفسير فرْقٌ ظاهر[3] .

- **وأما التأويل عند المتأخِّرين**، فهو صَرْف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يَقْتَرِن به، كما قال ابن الجوزي (ت:597): «التأويل: العدولُ عن ظاهر اللفظِ إلى معنى لا يقتضيه؛ لدليل عليه»[4] .

وقد كان لهذا الاختلاف بين المتقدمين والمتأخرين أثر في شرح بعض النصوص، من ذلك ما ذكره ابن الجوزي في شرحه لدعاء النبي ρ لعبدِ اللهِ بن العبَّاسِ «اللهمَّ فقِّهُ في الدِّينِ، وعلِّمْهُ التَّأويلَ» حيث قال: «قوله: وعَلِّمْهُ التَّأويلَ: فيه قولان: أحدهما: أنه التفسير. والثاني: أن التَّأويل: نقل الظَّاهر عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو من آل الشيء إلى كذا أي صار إليه»[5] .

ج - الفرق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل على أقوال كثيرة؛ ولعل منشأ هذا الخلاف ما ذكره الأستاذ أمين الخولى حيث قال: "وأحسب أن منشأ هذا كله، هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهاب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب"[6] .

وأما عن أهم الأقوال التي ذكرها العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل فهي كما يلي:

---

[1] رواه أحمد في مسنده ، (3/ 272)، برقم: 2881 .

[2] رواه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، باب: باب تفسير سورة { إذا جاء نصر الله }، برقم: 4684 .

[3] الإكليل في المتشابه والتأويل، لابن تمية (ص: 28).

[4] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (ص: 216) .

[5] غريب الحديث، لابن الجوزي (1/ 37) .

[6] نقلا عن التفسير والمفسرون للذهبي (1/ 16) .

1 – أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، وهو قول أبي عبيدة وطائفة، وهذا هو الشائع عند المتقدمين، كما سمى الطبري تفسيره "جامع البيان عن تأويل القرآن"، وكان يقول فيه: تأويل الآية، اختلف أهل التأويل .

2 - التفسير أعم من التأويل، وهو قول الراغب، فالتفسير يستعمل في الكتب الإلهية وفي غيرها، وأكثر ما يُستعمل في بيان معاني الألفاظ ومفرداتها، كتفسير معنى "البَحيرة والسائبة والوصيلة"، وأما التأويل فأكثر ما يُستعمل في المعاني والجمل، كتأويل الرؤيا، فكان التفسير أعم .

3 - التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، وأما التأويل فهو ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين، وهذا قول أبي المنصور الماتريدى .

4 - التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، والتأويل تفسير باطن اللفظ لأنه مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، مثاله قوله تعالىُ ک ک ک ً الفجر: ١٤ ، تفسيره: أنه من الرصد، رصدته: رقبته، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الاستعداد للعرض عليه. وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين، وهذا قول الثعلبى .

5 - التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسُّنَّة من طريق الاستنباط. والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، قاله البغوى ووافقه الكَوَاشى .

6 - "التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية"، فما وقع مبيَّناً في كتاب الله وسنة رسوله ρ يسمى تفسيراً، وما استنبطه العلماءُ العالمون بمعنى الخطابِ يسمى تأويلا، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين .

7 - التفسير هو بيان المعاني التي تُستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تُستفاد بطريق الإشارة. فالنسبة بينهما التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين، كما نبَّه على ذلك العلامة الألوسي فقال: "وعندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العُرْف فكل الأقوال فيه - ما سمعتها وما لم تسمعها - مخالف للعُرْف اليوم إذ قد تعورف من غير نكير: أن التأويل إشارة قدسية، ومعارف سبحانية، تنكشف من سجف العبارات للسالكين، وتنهل من سُحُبِ الغيب على قلوب العارفين. والتفسير غير ذلك. وإن كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة، فلا أظنك في مرية من رد هذه الأقوال، أو بوجه ما، فلا أراد ترضى إلا أن في كل كشف إرجاعاً، وفى كل إرجاع كشفاً، فافهم" [1].

قال الدكتور مساعد الطيار بعد لسرده مجموعة من الأقوال :" وهذه النقول تدلُّ على وجود إشكال عند هؤلاء العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، والذي يظهر عليها كلها أنها

[1] ينظر: أبجد العلوم، صديق حسن خان القنوجي (ص: 317) ، والتفسير والمفسرون للذهبي (1/ 16 -18) .

تخصيصاتٌ لا دليل عليها، وتفريقات لا يستقيم لها وجه، فكلُّ واحدٍ منهم يرى ما لا يراه الآخر، وتراهم لم يثبتوا على قولٍ سوى وجود الفرق، ثمَّ اختلفوا في بيانه[1] .

ثانيا - أنواع التفسير: والمقصود هنا " التفسير بالمأثور وبالرأي" وحكم ذلك:

أ - التفسير بالمأثور: يعتبر التفسير بالمأثور أول اتجاهات التفسير وجودا، وأسلمها في التعامل مع كتاب الله تعالى، وسنتحدث في هذا المقام عن هذا الاتجاه في عدة نقاط هي:

1- تعريف التفسير بالمأثور: هو تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك الأقوال الواردة عن النبي ρ في السّنّة، وأقوال الصحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا أسباب نزول القرآن، فكانوا أعلم المسلمين بتفسيره، وأقوال التابعين باعتبارهم عايشوا أصحاب النبي ρ واستقوا من علومهم على الراجح من أقوال أهل العلم .

هذا هو المشهور من هذا المصطلح، وعليه اعتراضات ذكرها د: مساعد الطيار، وهي:

- أن تفسير القرآن بالقرآن لا نقل فيه، بل هو داخل ضمن تفسير من فسر به، فإن كان المفسِّر هو الرسول ρ فهو من التفسير النبوي، وإن كان المفسر هو الصحابي، فهو من تفسير الصحابي، وإن كان المفسر هو التابعي، فهو من تفسير التابعي.

- ثم إن تفسير الصحابي أو التابعي القرآن بالقرآن هو من التفسير بالرأي، وذلك لأن طريق الوصول إلى تفسير هذه الآية هو الرأي و الاجتهاد .

- لم توقف النقل عند التابعين ولم يذكر من بعدهم؟، مع أن فيهم من الأئمة في التفسير مَنْ فيهم، وأقوالهم مدونة ومحفوظة، والطريق إليهم هو بالأثر كالتابعين .

لذلك فالذي يظهر أن ما يمكن أن يطلق عليه تفسير بالمأثور ويجب الأخذ به، ثلاثة أنواع:

الأول: ما روي عن رسول الله ρ من تفسيره القرآن .

الثاني: ما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع؛ كأسباب النزول والغيبيات .

الثالث: ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون، وهذا يلحق بالمأثور، لوجوب الأخذ به؛ لأن الإجماع حجة [2] .

2- مصادر التفسير بالمأثور: هي ثلاثة مصادر:

- القرآن الكريم وقراءاته المتواترة: حيث أن ما أجمل في موضع قد فصل في موضع آخر، وما جاء في آيات القرآن مطلقا قيد في أخرى، وكذا القراءات القرآنية لأنها قرآن، فيجوز أن يفسّر القرآن بها .

- السنّة النبوية: فقد كان الصحابة يرجعون إلى النبي ρ في فهم القرآن، فتكوّن رصيد عظيم في تفسير القرآن من قبل النبي ρ الذي قيل له: ُ آ □ □ □ يم يي □ □ □ ً النحل: ٤٤ .

- تفسير الصحابةψ: فهم الجيل الذي لم يشهد التاريخ له مثيلا في علمهم وإيمانهم وإدراكهم لأمور الحياة بنظرة واسعة، مع ما كانوا يتمتعون به من الفصاحة والمعرفة بأساليب القرآن .

---

[1] مفهوم التفسير والتأويل ولاستنباط والتدبر والمفسر، د مساعد الطيار (ص: 112-116) .

[2] فصول في أصول التفسير، د مساعد الطيار (ص: 74) .

ويلحق به تفسير التابعين، فمنهم من تلقى التفسير كله عن الصحابة، قال مجاهد: (عرضت القرآن على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها، ولهذا قال الثوري "إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به"[1] .

3- نماذج لأشهر كتب التفسير بالمأثور: هي كثيرة جدا عند المتقدمين والمتأخرين منها:

- **"جامع البيان في تأويل القرآن"** لمحمد بن جرير الطبري (ت: 310 هـ) .
- **"الكشف والبيان عن تفسير القرآن"** لأبي إسحاق الثعلبي النيسابوري، (ت: 427 هـ) .
- **"تفسير القرآن العظيم"** لابن كثير الدمشقي (ت: 774 هـ) .
- **"الدّر المنثور في التفسير بالمأثور"** لجلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ) .
- **"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"** لمحمد الأمين الشنقيطي (ت : 1393هـ) .

ب - التفسير بالرأي (العقلي):

1- تعريف التفسير بالرأي: هو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب، وألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك [2] .

2- موقف العلماء من التفسير بالرأي:

انقسم العلماء إلى فريقين، فريق منع تفسير القرآن بالرأي مهما كان علم المفسر ومعرفته بأصول التفسير، وفريق يرى أنّ من كان ذا معرفة وعلم يجوز له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده، وقد استدلّ كلّ فريق بأدلة:

أدلة المانعين: استدلوا بأدلة كثيرة منها:

- إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم وهو أمر منهي عنه، لقوله تعالى ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ... ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ الأعراف: ٣٣ - وقوله تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ النحل: ٤٤ ، فقد أضاف الله تعالى البيان إليه ρ فعلم ليس لغيره بيان شيء منه.

- ما ورد في السنّة من تحريم القول في القرآن بالرأي مثل: حديث ابن عباس τ أن النبي ρ قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ... ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[3]، وحديث جندب τ قال: قال رسول الله ρ «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[4] .

- الآثار الواردة عن السلف من الصحابة والتابعين التي تفيد مدى تحرّجهم من القول في القرآن بآرائهم، مثل أبي بكر τ الذي قال "لأن تضرب عنقي ولا أقول في القرآن برأيي"، وما ورد عن سعيد بن المسيب أنه: كان إذا سئل عن الحلال والحرام أجاب، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت .

- أدلة القائلين بجواز التفسير بالرأي:

- استدلوا بالآيات الكثيرة الداعية إلى التدبر والتفكر وإعمال العقل في فهم القرآن من ذلك قوله تعالى ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ ص: ٢٩، وقوله تعالى ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ

[1] التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع (ص: 96) .

[2] الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو (ص: 236) .

[3] رواه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ρ، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم: 2951، وضعفه الألباني.

[4] رواه أبو داود في سننه، كتاب: العلم ، باب الْكَلاَمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، رقم: 3654، وضعفه الألباني .

ںً النساء: ٨٣ ووجه الدلالة في الآيات أن الله تعالى حث على تدبر القرآن والاعتبار بآياته، وبين أن في القرآن ما يستنبطه أولوا الألباب باجتهادهم، ويصلون إليه بإعمال عقولهم، فكيف يمنع ويحظر الطريق الموصّل إلى شيء تعبدنا الله عز وجل به .

- قالوا لو كان التفسير بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائزا، ولتعطّلت كثير من الأحكام، وهذا باطل .

- ما ثبت عن الصحابة أنهم اختلفوا في تفسير القرآن على وجوه، ولو كان التفسير بالرأي محظورا، لكان هذا مخالفة من الصحابة ومعاذ الله أن يكونوا قد خالفوا .

- أن النبي ρ قد دعا لابن عباس τ قائلا: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)، فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل فقط لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء .

ولم يكتف القائلون بالجواز بإيراد أدلتهم، بل قاموا بتفنيد أدلة المانعين وأجابوا عنها بأجوبة خلاصتها:

- أن النبي ρ لم يثبت عنه تفسير القرآن لفظا لفظا، بل فسر ما احتاج الناس لبيانه أما غيره ففهموه .

- أن ما ورد من النهي محمول على من قال برأيه فيما لا يعلم إلا عن طريق النقل، أو الرأي الذي يغلب على صاحبه من غير دليل يستند إليه، أما الرأي الذي يشهد له الدليل ويشدّه البرهان فجائز .

- وما ورد عن السلف من آثار تفيد تحرّجهم فهي محمولة على ورع واحتياط منهم، ويحمل إحجامهم على أنه كان مقيدا بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه، أما إذا عرفوا وجه الصواب فيه فلم يكونوا يتحرجون من إبداء ما يظهر لهم ولو بطريقة الظن، فهذا أبو بكر τ مع شدة ورعه يقول - وقد سئل عن الكلالة -: «أقول فيها برأيي فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان: الكلالة كذا وكذا» .

والراجح في هذه المسألة بغير شك هو أن التفسير بالرأي، ينقسم إلى قسمين:

- فمنه الممنوع وهو (الرأي المذموم)، المبني على الهوى لا على دليل، وعليه تحمل أدلة المانعين .

- ومنه الجائز وهو (الرأي المحمود)، وعليه تحمل أدلة المجيزين، بشرط أن تتوفر في المفسر شروط منها:

1-الالتزام بمدلول الألفاظ واستعمالها في اللغة العربية في ظل السياق القرآني .

2- عدم التكلف أو الشطط في الفهم .

3-الحذر من السير مع الهوى والاستحسان .

4-الحذر من جعل المذهب الفاسد أصلا والتفسير تابع له، فيحتال في تأييد مذهبه بالقرآن وإن كان بعيدا[1] .

3- نماذج لكتب التفسير بالرأي الجائز:

[1] التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع (ص:107- 110) .

هناك تفاسير كثيرة للمتقدمين والمتأخرين فسرت القرآن بالرأي، ولها اتجاهات مختلفة، منها:

- **"مفاتيح الغيب"** لمحمد بن عمر بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606 هـ) .
- **"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"** لعبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي من بلاد فارس (ت: 685 هـ) .
- **"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"** لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: 701 هـ) .
- **"البحر المحيط"** لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت: 745 هـ) .
- **"إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم"** لأبي السعود (ت: 982 هـ) .
- **"تفسير الجلالين"** لجلال الدين المحلي (ت: 864هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ) .
- **"تفسير المراغي"** لأحمد مصطفي المراغي (ت: 1371هـ) .
- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم:** للدكتور: محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر (ت: 1431هـ) .
- **"التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"** للدكتور: وهبة الزحيلي (ت: 1436هـ) .

ج - **العلوم التي يحتاج إليها المفسر:** أهم الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لبيان معاني كلام الله هي:

1- صحة المعتقد، ولزوم سنة الدين، وذلك أن فساد المعتقد والخلل في الديانة يجر صاحبه إلى القول على الله بلا علم، وإلى دعوة الناس إلى فتنته وبدعته .

2- صحة المقصد وسلامة النية، وذلك بأن يخلص قصده لله، ولا يتوصل بعمله عرضا من الدنيا .

3- العلم باللغة؛ إذ بها تعرف معاني مفردات الألفاظ ومدلولاتها، قال مجاهد: (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)، وقال مالك: (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله؛ إلا جعلته نكالاً) ، يقول الزركشي: "فأما اللغة، فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها... وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلّم اليسير منها" .

4- العلم بالنحو والتصريف والاشتقاق؛ لأن معنى اللفظ يتغير باختلاف أوجه إعرابه واشتقاقه وأصله، وهذا للمتصدي للتفسير عموماً وللتحليلي منه خصوصاً، يقول الزركشي: "وأما الإعراب؛ فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلّمه؛ ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم وليسلم القارئ من اللحن..." .

5- العلم بالبلاغة(المعاني والبيان والبديع)،وهو من أعظم شروط المفسر، لأنه تدرك وجوه إعجاز القرآن به.

6- العلم بالقراءات واختلاف ألفاظها وتوجيهها، ليعرف كيفية النطق بالقرآن، وأثر ذلك في المعنى .

7- العلم بمسائل الاعتقاد وأصول الدين ومذاهب الفرق والطوائف؛ ليُحسن بيان ما تضمنه القرآن من ذكر أسماء الله وصفاته، وبيان ما اشتمل عليه من أركان الإيمان وذكر الأمم والرسالات السابقة.

8- العلم بالفقه وأصوله، ليبين الأحكام الفقهية الواردة في الآيات، ويحسن الاستدلال على الأحكام والاستنباط من الأدلة، والتميز بين العام والخاص والمجمل والمبين والمنطوق والمفهوم والمحكم والمتشابه، يقول الزركشي: (ولابد من معرفة قواعد أصل الفقه؛ فإنه من أعظم الطرق في استثمار الأحكام من الآيات).

9- العلم بالسنة وعلومها؛ لأن السنة شارحة للقرآن مبينة له كما قال تعالى:ُ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ النحل: ٤٤ .

10- معرفة أسباب النزول، وقصص القرآن، وسيرة النبي ρ؛ لأن ذلك يعين على معرفة معنى الآية.

11- العلم بالناسخ والمنسوخ من القرآن، ليعلم المحكم من غيره.

يقول ابن أبي الدنيا: "فهذه العلوم – التي هي كالآلة للمفسر – لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فَسّر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فَسّر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه... والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ρ" [1] .

[1] ينظر هذه الشروط: مقدمة تفسير الراغب الأصبهاني (ص:93)، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي (165/2)، والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (275/6). ويستفاد من دراسة للدكتور: العباس الحازم، بعنوان: التفسير التحليلي مفهومه، وضوابطه، وعناصره، ومصادره مع دراسة تطبيقية على سورة (الفاتحة)، (ص: 555-557) .

المحاضـرة الثانيـة: مقدمات نظرية في التفسيـر التحليلـي :

أولا: مفهوم التفسير التحليلي:

تتكون جملة "التفسير التحليلي" من مفردتين، نحتاج لمعرفة كل منهما لنصل إلى المعنى الاصطلاحي:

أما التفسير فتقدم تعريفه . **وأما التحليلي:**

فهو لغة: من حَلَلَ: وأصله: فَتَح الشيء وفَكه ونَقَضَه، قال ابن فارس: "الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يَشُذّ عنه شيء"[1] ، ومنه: حَلَلْتُ العقدة: فتحتها ونقضتها، وكُلّ جامد أذيب فقد حُلّ[2] .

واصطلاحا: (التحليل) تحليل الجملة بيان أجزائها ووظيفة كلّ منها[3] .

وأما المعنى الاصطلاحي: للتفسير التحليلي كمصطلح معاصر: فقد تعددت تعاريف المعاصرين له ومنها:

1- تعريف الدكتور فهد الرومي: "الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف، سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن كله، ويبيّن ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها، وأسباب نزولها، وأحكامها، ومعناها، ونحو ذلك" [4] .

2 – تعريف د: العباس الحازمي قال: "أسلوب يستخدمه المفسر لبيان كل ما يتعلق بالآية القرآنية وأجزائها مستفيداً من العلوم التي لها علاقة بالتفسير"[5] .

إذن فالتفسير التحليلي يمكن أن يشمل الآية ومجموعة من الآيات أو سورة كاملة أو أكثر أو القرآن كله .

وله مسميات أخرى:

مثل: التفسير التجزيئي، وسبب تلك التسمية أن المفسر يقوم بتجزئة الآية إلى عدة جمل وكلمات، ثم يتكلم عن تلك الجمل والكلمات جملة جملة وكلمة كلمة .

ويسمى أيضاً: التفسير الموضعي، وسبب تلك التسمية أن الباحث أو المفسر يركز على موضع واحد من القرآن الكريم، سواء كان ذلك آية واحدة أو آيات .

ثانيا: أهمية التفسير التحليلي :

للتفسير التحليلي أهمية كبيرة تظهر فيما يلي:

1- أنه أقدم أساليب التفسير وأشهرها، وهو الذي كان الصحابة ψ والتابعون يتعلمون به القرآن ويعلمونه، يقول ابن مسعود τ: (كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف

---

[1] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، كتاب الجيم ، مادة (حل) (2/ 20) .

[2] القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص: 986) .

[3] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الحاء (1/ 194) .

[4] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي (ص: 57) .

[5] التفسير التحليلي د: العباس الحازم، (ص: 552) .

معانِيَهُنَّ والعمل بهن)[1]، ويقول مجاهد: (عرضت المصحف على ابن عباس τ ثلاث عَرضَات، من فاتحته إلى خاتمته، أقِفُه عند كل آية منه وأسأله عنها)[2].

2- أن غالب التفاسير سلكت هذا الأسلوب ونهجته، واختارته طريقاً لبيان معاني كلام الله تعالى .

3-أنه الأسلوب الذي يستقصي فيه المفسر كل أجزاء الآية من الجملة والكلمة والحرف ويشملها بالبيان .

4-يحث هذا الأسلوب صاحبه والمتصدي له على التبحّر في علوم متعددة متنوعة؛ لأنه يحتاج إلى تلك العلوم في بيان كل أجزاء الآية .

5-يعطي هذا الأسلوب للمفسر والقارئ مساحة كبيرة للتدبر والتفكّر في الآية والاستنباط منها .

6-تجتمع في هذا الأسلوب جملة من العلوم والمسائل والفوائد المتنوعة والمتعددة، مما يتيح استعمال تلك الفوائد في مجالات علمية وعملية متعددة .

7- يعد هذا الأسلوب في التفسير كالمقدمة لأنواع التفسير الأخرى (الموضوعي، والإجمالي، والمقارن)، فلا يستطيع المتصدي لتلك الأنواع والأساليب أن يوفق في هدفه وغرضه حتى يُلِّمّ بالتفسير التحليلي ويتقنه[3] .

ثالثا: ضوابط التفسير التحليلي :

1- أن يفسر القرآن بالقرآن، فيبين ما أجمل في موضع بما فسر في موضع آخر .

2-أن يفسر القرآن بالسنة؛ فإنها شارحة له ومبينة لألفاظه .

3-أن يفسر القرآن بأقوال الصحابة ψ؛ فإنهم عاصروا التنزيل وشاهدوه، مع الفهم التام والعلم الصحيح .

4-أن يعود إلى أقوال التابعين، خاصة ما اتفقوا عليه[4] .

5-أن يجتنب التفسير بمجرد الرأي؛ لقول الله تعالى:ﱡ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈئې ئې ئې ئى ئى ئد ی ی ی یﱠ الإسراء: ٣٦ .

6-أن يجتنب نقل الحديث الضعيف والروايات الموضوعة المكذوبة .

7-أن يتوقف المفسر عند حدود المتشابه، ويحيل علمه إلى الله تعالى كما قال تعالى:ﱡ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ېﱠ آل عمران: ٧ على أن الواو استئنافية وليست عاطفة .

8- الالتزام بالنقل والرواية فيما لا يمكن معرفته إلا بها، يقول الزركشي: "والحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل؛ كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل..."[5] .

9-تحرّي الدقة والصواب، ومطابقة التفسير للمفسَّر وعدم الاستطراد وتشعّب الآراء والأقوال والألفاظ .

---

[1] جامع البيان، للطبري (1/ 74) .

[2] المعجم الكبير للطبراني، برقم: 11097 ، (11/ 77) .

[3] التفسير التحليلي د: العباس الحازم (ص: 553 – 554) .

[4] مقدمة التفسير لابن قاسم (ص: 9-10) .

[5] البرهان في علوم القرآن، للزركشي (2/ 171) .

10-تجنب ذكر ما لا يصح من أسباب النزول وفضائل القرآن والقصص الموضوعة والأخبار الإسرائيلية؛ لأن ذكر ذلك يُشغل عن التدبر والاعتبار .
11-تجنب إطلاق لفظ "الحكاية" أو "الزيادة" في كلام الله تعالى .
12-تجنب ادعاء وقوع التكرار في القرآن الكريم وكذا القطع بالترادف، وذلك أن مجموع المترادفين يحصّل معنىً لا يوجد عند انفراد أحدهما .
13-تجنب شحن التفسير بعلل النحو وتفصيلات المسائل الفقهية والأصولية، والرد على المخالفين[1] .

رابعا: عناصر وخطوات التفسير التحليلي:

1-مقدمات عن السورة أو المقطع أو الآية، فيما يتعلق بـ:
-فضلها، اسمها ومكان نزولها، عدد آياتها بالنسبة للسورة، موضوعها الرئيس ومحاورها الفرعية، ومقاصدها.
2-المناسبات: بكافة أنواعها: بين السورة أو الآيات وما قبلها وما بعدها .
3- أسباب النزول – إن وجدت –.
4- غريب مفردات الآية أو الآيات.
5- بيان الإعراب.
6- ذكر ما يؤثر في المعنى ويبينه من صرف واشتقاق ومعاني الحروف.
7- القراءات الواردة وتوجيهها.
8- المسائل البلاغية من بيان وبديع ومعاني.
9- الناسخ والمنسوخ في الآيات .
10- الفوائد المستنبطة من الآية أو الآيات (عقدية أو فقهية أو تربوية)[2] .

خامسا: مصادر التفسير التحليلي[3]:

يمكن أن يقال إن كل كتاب يتضمن معلومات تتعلق بالآية إلا ويمكن أن يجعل من مصادر التفسير التحليلي، سواء الكتب التي ألفت ابتداء في التفسير أو التي تتضمن معلومات حول الآية ككتب السيرة والتاريخ واللغة والفقه، إلا أن هناك مصادر أصلية لكل عنصر من عناصر التفسير التحليلي، والتي منها:

1- فضائل السور والآيات:

ومنها: كتاب "فضائل القرآن" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت:224هـ)، و"فضائل القرآن" لابن كثير (ت : 774هـ)، كتاب "فضائل القرآن العظيم وثواب من تعلمه وعلمه وما أعد الله عز وجل لتاليه في الجنان"، ضياء الدين المقدسي (المتوفى: 643هـ)، "موسوعة فضائل سور

---

[1] التفسير التحليلي د: العباس الحازم، (ص: 558 – 559) .
[2] التفسير التحليلي د: العباس الحازم، (ص: 560 – 561) .
[3] من أحسن ما كتب في هذا الباب كتاب بعنوان: "أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم" للدكتور مساعد الطيار، وينظر أيضا: التفسير التحليلي د: العباس الحازم (فصل: بيان مصادر التفسير التحليلي) .

وآيات القرآن" المؤلف: محمد بن رزق بن طرهوني، "صحيح ما ورد في فضائل آيات وسور القرآن الكريم"، للشيخ حسن عبد العال محمود .

فهذه كتب أصيلة في هذه المسألة، وهناك مصادر أخرى تستفيد منها في هذا الباب منها: أبواب فضائل القرآن في كتب السنة كصحيح البخاري وجامع الترمذي، وكتب التفسير بالأثر كـ "جامع البيان" للطبري، ومعالم التنزيل للبغوي (ت: 516هـ) وغيرها .

2- أسماء السور:

اعتنت كتب التفسير بإيراد أسماء السور والأدلة الدالة على ذلك، ومن أشهر المفسرين الطبري في جامعه، ومكي في الهداية، كما اعتنى الفيروز آبادي في "بصائر ذوي التميز" بذكر أسماء السور وتعليل تلك الأسماء.

ولم يفت كتب علوم القرآن ذكر ذلك كجمال القراء للسخاوي (ت: 643هـ)، و"البرهان" للزركشي (ت: 794هـ) والإتقان للسيوطي (ت: 911هـ)، وغيرها .

ومن المؤلفات المعاصرة المهمة في هذا الباب تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور.

3- مكان نزول السور والآيات (المكي والمدني):

أَفْرَدَتْ كتبُ علومِ القرآن كـ "جمال القراء" للسخاوي ، و"البرهان" للزركشي، و"الإتقان" للسيوطي، أبواباً خاصة للحديث عن السور المكية والمدنية، وكذلك كتب التفسير المتنوعة .

4- عدد آيات السورة:

من المصنفات المهمة كتاب (البيان في عد آي القرآن) للداني (ت: 444هـ)، وكتاب "الفرائد الحسان في عد آي القرآن" لعبد الفتاح القاضي (ت: 1403هـ)، وبعض كتب علوم القرآن مثل: "جمال القراء" و "الإتقان" وابن عقيلة في "الزيادة والإحسان" حيث اعتنى هؤلاء بعد الآيات والحروف .

5- موضوع السورة الرئيس ومحاورها:

من الكتب التي اهتمت بهذا الموضوع بصورة واضحة جدا: كتاب: "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، للإمام البقاعي (ت: 885هـ)، ويعد الاهتمام بموضوع السورة ومحاورها الأساسية، من الموضوعات التي اهتم بها المعاصرون، ومن ذلك كتاب "نظام القرآن في تأويل الفرقان بالفرقان" لعبد الحميد الفراهي (ت: 1930م)، وكتاب "الأساس في التفسير" لسعيد حوّى (ت: 1409 هـ)، و"التحرير والتنوير" لابن عاشور (ت: 1393هـ))، وسيد قطب "في ظلال القرآن" (ت : 1385هـ)، وكتاب "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، لوهبة بن مصطفى الزحيلي (ت:1436هـ) وغيرها .

6- مناسبات السور والآيات:

وممن اعتنى بذلك عناية فائقة كتاب "نظم الدر في تناسب الآيات والسور" للبقاعي (ت: 885هـ)، و"البرهان في تناسب سور القرآن" لابن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ)، و"مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" لعادل بن محمد أبو العلاء .

وكذلك مجموعة من التفاسير منها: "البحر المحيط"، وتفسير "حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"، محمد الأمين الهرري، و"روح المعاني"، و"التفسير الوسيط للقرآن

الكريم" لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وكتاب "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، وغيرها كثير .

7- أسباب النزول:

مثل: "أسباب النُّزولِ"، للواحديِّ (ت: 468)، و "العُجابُ في بيانِ الأسبابِ" لابن حجر ، و "لباب النقول في أسباب النزول" للسيوطي، و "الصَّحيحُ المسندُ من أسبابِ النُّزولِ" لمقبل بن هادي (ت: 1422هـ)، و "الاستيعاب في معرفة الأسباب" لموسى نصر وسليم الهلالي .

ثم يفيد في أثناء بحثه من كتب التفسير المأثور التي اعتنت بذلك كالطبري والثعلبي والبغوي وابن كثير .

ثم يعرج على كتب السنة من صحاح وسنن ومسانيد فقد حَوت الكثير من مرويات أسباب النزول.

8- غريب المفردات:

منها: كتاب "غريب القرآن" لابن قتيبة(ت: 276هـ)، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت: 210هـ)، وكتب "معاني القرآن" للأخفش (ت: 215هـ) والفراء (ت: 207هـ)والزجاج(ت: 311هـ)، والنحاس (ت: 338هـ)، و"المفردات" للراغب (بعد 400هـ)، وكتابِ "تحفةِ الأريبِ بما في القرآنِ من الغريبِ" لأبي حيان، وكتابِ "عمدة الحفاظِ في تفسيرِ أشرفِ الألفاظِ"، للسَّمينِ الحلبيِّ (ت: 756هـ) .

كما تعد كتب المعاجم اللغوية مراجع مهمة مثل: كالعين للخليل (ت: 170هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري(ت: 370هـ) ومقاييس اللغة لابن فارس(ت: 395هـ) والصحاح للجوهري (ت: 393هـ) و"لسان العرب" لابن منظور (ت: 711هـ)، القاموس المحيط للفيروزآبادى (ت: 817هـ) .

9- بيان الإعراب:

من المصادر كتاب "معاني القرآن" للفراء، "إعراب القرآن " للنحاس، و"مشكل إعراب القرآن" لمكي القيسي،و"التبيان في إعراب القرآن" للعكبري،و"المجيد في إعراب القرآن المجيد" لإبراهيم السَّفَاقُسِي(742هـ)

ومن الكتب المعاصرة: "الجدول في إعراب القرآن الكريم" لـ محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ)، و "إعراب القرآن وبيانه" لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : 1403هـ)، و "إعراب القرآن الكريم" لأحمد عبيد الدعاس وأحمد محمد حميدان وإسماعيل محمود القاسم .

ومن التفاسير ما يوجد فيها عناية فائقة بالإعراب وتأثيره على المعنى كـ "البسيط" للواحدي، و"البحر المحيط" لأبي حيان، و"الدر المصون" للسمين الحلبي، و"التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور وغيرهما .

10- القراءات وتوجيهها:

يرجع الباحث إلى كتاب "السبعة" لابن مجاهد (ت: 324هـ)، و"الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي (ت: 377هـ)، و"النشر" لابن الجزري(ت : 833 هـ)، و"المبسوط في القراءات

العشر" أحمد بن مِهْران النيسابوريّ (ت: 381هـ)، و"غيث النفع في القراءات السبع" علي بن محمد الصفاقسي (ت: 1118هـ)، و"البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب" لعبد الفتاح القاضي (ت: 1403هـ) .

وفيما يتعلق بتوجيه القراءات يرجع الباحث إلى "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها" لمكي (ت: 437هـ)، و"الموضح في وجوه القراءات وعللها" لابن أبي مريم .

ومن التفاسير: جامع البيان للطبري ، و"المحرر الوجيز" لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيان .

11- المسائل البلاغية:

ومن أشهرها: "إعجاز القرآن" للباقلاني، و"نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" للرازي، ثم كتب أئمة البلاغة وعلمائها، كالمثل السائر لابن الأثير، ومفتاح العلوم للسكاكي .

ومن التفاسير التي اعتنت بالجانب البلاغي عناية بالغة، "الكشاف" للزمخشري(ت: 538هـ)، وحواشيه كفتوح الغيب للطيبي(ت: 743 هـ)، وحاشية التفتازاني، وحاشية القزويني، وتفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي(ت: 685هـ)" وحواشيه كحاشية الشهاب(ت: 1069هـ)، وحاشية زادة، و"مفاتيح الغيب" للرازي (ت: 606هـ) ، و"التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور ، وغيرها من التفاسير .

12- الناسخ والمنسوخ:

من أهمها "الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل" للنحاس، و"الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم" لمكي بن أبي طالب، و"الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، "الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم" لابن حزم (ت: 456هـ)، و"الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم" لابن العربي (ت: 543هـ)، و"نواسخ القرآن" لابن الجوزي (ت : 597هـ)، و" قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن" لمرعي بن يوسف بن أحمد الكرمي (ت: 1033هـ) وغيرها .

ومن التفاسير التي اهتمت بهذا الأمر تفاسير آيات الأحكام عموماً .

13- مسائل التوحيد والإيمان:

تعد كتب ابن تيمية (ت:729هـ) وابن القيم (ت:751هـ) من المصادر المهمة التي ينبغي أن يعود إليها الباحث في التفسير التحليلي مرة بعد أخرى ومن تلك الكتب مجموع الفتاوى لابن تيمية، واقتضاء الصراط المستقيم، وقد جمع تفسيره من هذه الكتب في كتب أخرى مثل: "تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية" جمع إياد القيسي، و"دقائق التفسير" جمع د: محمد الجليند، و"التفسير الكبير" جمع د: عبد الرحمن عميرة .

ومن كتب ابن القيم "بدائع الفوائد"، و"مدارج السالكين"، و"زاد المعاد" وغيرها. وجمع تفسيره في عدة كتب منها: "التفسير القيم" لمحمد الندوي.

ومن التفاسير التي اهتمت ببيان مسائل التوحيد والإيمان من خلال الآيات، والرد على الطوائف المخالفة "جامع البيان" للطبري، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، وتفسير ابن كثير.

ومن كتب التفسير التي اهتمت بالرد على الفرق المخالفة وتأويلاتهم لآيات القرآن الكريم كتاب (نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام) لمحمد بن علي الكرجي القصاب (القرن الرابع) .

13- الأحكام الفقهية:

تعد كتب آيات الأحكام المصدر الرئيس لهذه المسألة ومنها: "أحكام القرآن" للطحاوي (ت : 321هـ)

والجصاص (ت: 370هـ)، الكيا الهراسي (ت: 504هـ)، ابن العربي (ت: 543هـ)، والقرطبي(ت : 671هـ)، و "تيسير البيان لأحكام القرآن" لابن نور الدين (ت: 825 هـ) وقد ألف السيوطي كتابه الإكليل في استنباط التنزيل؛ ليدرب طالب العلم على كيفية استنباط الأحكام والفوائد من القرآن الكريم .

14- الفوائد المستنبطة من الآيات:

كل كتب التفسير تعد مصدرا لهذه المسألة غير أن جهود المفسرين تتفاوت في هذا الباب، وكذا طرائقهم كذلك، فمنهم المقل ومنهم المكثر، ومنهم من يبدأ بها ومنهم من يختم بها.

ومن التفاسير التي لها عناية بهذه الفوائد: تفسير ابن كثير، و"البحر المحيط" لأبي حيان، و"التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي وغيرها ، ومن التفاسير المعاصرة "التفسير المنير" للزحيلي، و"أيسر التفاسير" لأبي بكر جابر الجزائري .

المحاضرة الثالثة: بين يدي السورة (الممتحنة):

أولا: أسماء السورة:

من الأسماء التي وردت في هذه السورة:

الأول: الممتحِنة - بكسر الحاء- على أنها اسم فاعل للسورة: ووجه التسمية بذلك أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة وهي آيةُ ﴿ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ﴾ .. إلى قوله. ﴿ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﴾ الممتحنة: ١٠ - ١١ ، فوصف الناس تلك الآية بالممتحنة لأنها شرعت الامتحان، وأضيفت السورة إلى تلك الآية .

وقال السهيلي: أسند الامتحان إلى السورة مجازا، كما قيل لسورة براءة الفاضحة .

والثاني: الممتحَنة -بالفتح- على أنها اسم مفعول، أضيفت السورة إلى المرأة التي وقع عليها الامتحان، على أن التعريف تعريف العهد، والمعهود أول امرأة امتحنت في إيمانها، وهي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط امرأة عبد الرحمان بن عوف، كما سميت سورة " المجادِلة"، أو يكون التعريف للجنس، أي: النساء الممتحنة [1] .

[1] ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري (29/ 186)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (28/ 115) .

وقال السخاوي: وتسمى أيضاً: سورة المودَّة، وسورة: الامتحان[1] . لورود آيتين بهذا المعنى في السورة .

ثانيا: عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها:

- **عدد آياتها:** هِي ثَلَاث عشرَة آيَة لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف، وَلَا نَظِير لَهَا فِي عَددهَا .

- **وعدد كلماتها:** ثَلَاث مئة وثمان وَأَرْبَعُونَ كلمة .

- **وعدد حروفها:** ألف وَخمْس مئة وَعشرَة أحرف[2] .

ثالثا: مكان وسنة نزول السورة:

سورة الممتحنة مدنيّة كلّها بالإجماع، وقد عدت هذه السورة الثانية والتسعين في تعداد نزول السور، وهي السورة الخامسة نزولا في المدينة، نزلت بعد الأحزاب، وقيل: بعد المائدة ، وقبل النساء[3] .

- **وحُكم هذه السورة حكم القرآن المكي:** قال السيوطي: ومثال: ما نزل بالمدينة وحكمه مكي سورة
الممتحنة فإنها نزلت بالمدينة مخاطبة لأهل مكة[4] .

- **وسنة نزولها:** قال ابن عطية : نزلت هذه السورة سنة ست[5] .

رابعا: المناسبات في السورة :

- **مناسبتها لما قبلها: (المجادلة والحشر):** هي أن سورة الممتحنة افتتحت بوصية المؤمنين على ترك موالاة أعدائهم ونهيهم عن ذلك، وأمرهم بالتبري منهم، ووعظهم بقصة إبراهيم υ والذين معه في تبرئهم من قومهم ومعاداتهم، وهو المعنى الوارد في خاتمة المجادلة" ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ " إلى آخر السورة، **ثم جاءت سورة الحشر لتصف نوعين من الموالاة: الأولى:** موالاة المنافقين للكافرين من أهل الكتاب" ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ". **والثانية:** موالاة المؤمنين بعضهم بعضا، وذلك في قوله تعالى" ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ " .

ثم تجيء الممتحنة لتنهى في مطلعها عن النوع الثالث وهو موالاة المؤمنين للكافرين لئلا يتشبهوا بالمنافقين .

وعلى هذا فمضمون سورة الممتحنة يعتبر تقريرًا وتأكيدًا لما جاءَ في سورة الحشر قبلها حتى كأنها من تمامها، ولهذا استحقت أَن توضع بين سور التسابيح أَو ذوات "سبح" مع اختلاف مفتتحها [1] .

---

[1] جمال القراء وكمال الإقراء ، علم الدين السخاوي (ص: 92) .

[2] البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني (ص: 244) .

[3] ينظر: زاد المسير ، لابن الجوزي (4/ 266)، والبرهان ، للزركشي (1/ 194)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (ص: 4379) .

[4] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (1/ 71) .

[5] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 296) .

- **ومناسبة أخرى:** كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، وهذه السورة للمعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية، فالسورتان تشتركان في بيان علاقات المسلمين مع غيرهم[2] .

- **مناسبتها لما بعدها:**

ومناسبتها لما بعدها أن سورة الصف اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه، وفي ذلك تأكيد للنهي عن اتخاذ الكفار أَولياءَ وهو المعنى الذي تضمنته سورة الممتحنة [3] .

ومناسبة أخرى أنها لما نهت سورة الممتحنة في مطلعها وأثنائها وختامها عن موالاة الكفار من دون المؤمنين، جاءت سورة الصف لتبين في مطلعها أمرين متناسبين مع ذلك وهما:

الأول: علة النهي عن موالاتهم وهي أن المشركين استكبروا عن عبادة ربهم، مع أنه سبحانه قد سبح له ما في السموات وما في الأرض، فاستحقوا بذلك ترك الموالاة .

والثاني: الأمر بوحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا تجاه الأعداء .

ومناسبة ثالثة وهي لما ذكرت سورة الممتحنة أحكام العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم داخل الدولة الإسلامية وخارجها، وقت السلم، جاءت سورة الصف وحرضت على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان الذي قد يطرأ على الدولة لأن الحث على الجهاد والترغيب فيه تأكيد للنهي عن اتخاذ الكفار أَولياءَ الذي تضمنته سورة الممتحنة، كما أنّبت التاركين للقتال وشبهتهم ببني إسرائيل الذين عصوا موسى υ حين ندبهم للقتال، ثم عيسى υ حين أمرهم باتّباعه بعد إتيانه المعجزات، واتّباع النبي محمد ρ الذي بشر به [4] .

قال السيوطي: **المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:** ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ﴾ وآخرها: ﴿ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ﴾[5] .

خامسا: المقصد الأساس والمقاصد الفرعية للسورة :

- **المقصد الأساس للسورة:**

هذه السورة كغالب السور المدنية التي اعتنت ببيان الأحكام التشريعية فكان مقصودها الأساس هو: بيان أحكام العلاقة بين المؤمنين والكافرين، وامتحان المؤمنات المهاجرات[6] .

- **وأما المقاصد الفرعية لها فهي:**

- ابتدأت السورة بالنهي عن موالاة المشركين وبيان أسباب ذلك؛ وهي إيذاء المؤمنين وعداوتهم لله ولمن آمنوا، وإلجاؤهم إلى الهجرة وترك الديار والأوطان .

- ثم ذكرت أن القرابة أو الصداقة غير نافعة يوم القيامة، وإنما النافع للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ﴾

---

[1] ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي (ص: 333). والتفسير الوسيط ، لمجمع البحوث بالأزهر (10/ 1373) .

[2] التفسير المنير، للزحيلي (28/ 115) .

[3] التفسير الوسيط ، لمجمع البحوث بالأزهر (10/ 1393) .

[4] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (20/ 2)، والتفسير المنير، للزحيلي (28/ 157) .

[5] مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي (ص: 70) .

[6] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي (3/ 75) .

- وأعقبت ذلك بضرب الأمثال بقصة إبراهيم ومن معه من المؤمنين، وتبرئهم من قومهم المشركين، ليتخذ المؤمن إبراهيم υ قدوة وأسوة طيبة ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ الآيات .
- ثم وضعت أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب في حالتي السلم والحرب، والمودة والعداوة: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ... ک ک گ گ گ گ ﴾ الآيات .
- وانتقل البيان عقب ما ذكر إلى حكم العلاقات مع المشركين فيما يتعلق بالنساء المؤمنات المهاجرات، فبين ضرورة امتحانهن عند الهجرة لدار الإسلام، وعدم ردهن إلى الكفار في دار الكفر وإيتاء أزواجهن مهورهن: ﴿ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ... ﴾ الآيات.
- واستتبع ذلك بيان حكم مبايعة الرسول ρ لهن، وشروط البيعة وبنودها، وأصولها في الإسلام وداره ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ پ ﴾ .
- وختمت السورة بتأكيد النهي عن موالاة أعداء المؤمنين من المشركين والكفار، حرصا على وحدة الأمة والملة: ﴿ چ چ چ چ ﴾ [1] .

[1] التفسير المنير، للزحيلي (28/ 116) .

المحاضـرة الرابعـة: النـهي عن موالاة الكفـار (من الآية 1 إلى الآية 3):

ڤ ڤ ... ٻ ٱ ٹٱٹّ

ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ

ژ ژ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻّ

الممتحنة: ١ ــ ٣ .

أولا: سبب النزول: روى البخاري في صحيحه عن عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي يقول سمعت عليا τ يقول: بعثني رسول الله ρ أنا والزبير والمقداد فقال "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها" فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ρ فإذا فيه "من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة" يخبرهم ببعض أمر النبي ρ فقال النبي ρ " ما هذا يا حاطب ؟"، قال: لا تعجل علي يا رسول الله؛ إني كنت امرءا من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي؛ وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني . فقال النبي ρ " إنه قد صدقكم " . فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه فقال " إنه شهد بدرا وما يدريك ؟ لعل الله عز و جل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " . قال عمرو ونزلت فيهٌ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پّ [1] .

- ولكن ما مناسبة خروج النبي إلى مكة هل للعمرة عام الحديبية، أم لفتح مكة؟: ثبت عن قتادة أن هذا الكتاب أرسله حاطب لما تجهز رسول اللهρ للحديبية، قال الطبري: لما أراد النبي ρ أن يأتي مكة أفشى في الناس أنه يريد خيبر وأسرَّ إلى ناس من أصحابه منهم حاطب بن أبي بلتعة أنه يريد مكة، فكتب حاطب إلى أهل مكة . . . إلى آخره[2]، فإنّ قوله: أفشى أنه يريد خيبر يدل على أن إرادته مكة إنما هي إرادة عُمرة الحديبية، لا غزو مكة لأن خيبر فتحت قبل فتح مكة . وقال ابن عطية: نزلت هذه السورة سنة ست .

وقال جمهور أهل السِّير: كان كتاب حاطب عند تجهّز رسول الله ρ لفتح مكة، وعليه معظم المفسرين .

ومعظم الروايات ليس فيها تعيين ما قصده رسول الله ρ من تجهّزه إلى مكة أهو لأجل العمرة أم لأجل الفتح؟ فإن كان الأصح الأول، كانت السورة جميعها نازلة في مدة متقاربة؛ فإن امتحان أم كلثوم بنت عقبة كان عقب صلح الحديبية . ويكون نزول السورة مرتباً على ترتيب آياتها وهو الأصل في السور .

[1] رواه البخار في صحيحه، ك: المغازي، باب: غزوة الفتح، رقم: 4025 .

[2] جامع البيان، للطبري (22/ 560) .

وعلى القول الثاني يكون صدر السورة نازلاً بعد آيات الامتحان وما بعدها حتى قال بعضهم: إن أول السورة نزل بمكة بعد الفتح ، وهذا قول غريب لا ينبغي التعويل عليه "[1] .

ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:

وجه تعلق أول هذه السورة بآخر ما قبلها، هو أن آخر سورة الحشر اشتملت على الصفات الجميلة اللائقة بالله تعالى من الوحدانية وغيرها، و أوّل السورة اشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات ولم يعظم المتصف بها وهم الكفار الذين لو اعترفوا بها لعبدوا الله وحده [2] .

وكذلك أنه سبحانه لما ذكر في السورة قبلها حالة المنافقين والكفار، افتتح هذه السورة بالنهي عن موالاة الكفار والتودّد إليهم ، وأضاف في قوله (عَدُوّى) تغليظاً، لجرمهم وإعلاماً بحلول عقاب الله بهم [3] .

ومناسبة أخرى هي: أنه لما كان التأديب عقب الإنعام جديراً بالقبول، وكان سبحانه قد ذكّر بنعمته على المؤمنين في سورة الحشر وهي فتح بني النضير وإجلائهم، وكان الحب في الله والبغض في الله أفضل الأعمال وأوثق عرى الإيمان، ناسب أن يستفتح سبحانه هذه السورة بهذا الأدب والأمر العظيم وهو: النهي عن موالاة الكافرين، حتى يكون أدعى للقبول ممن وجه إليهم[4] .

ثالثا: غريب الألفاظ:

- **{أَوْلِيَاءَ}** خُلَصَاءَ وَأَحِبَّاءَ .
- **{المودة}** محبة الشيء وتمني كونه.
- **{يثقفوكم}** يظفروا بكم .
- **{يَبْسُطُوا}** يَمُدُّوا .
- **{ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}** أَخْطَأَ طَرِيقَ الهُدَى[5] .

رابعا: القراءات الواردة في الآيات:

- ضم الهاء من **"إليهُم"** لحمزة ويعقوب .
- أمال الكسائي **"مرضاتي"** وفتحها الباقون .
- أدغم دال **"فَقَدْ ضَلّ"** في الضاد ورش وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف[6] .
- قَرَأَ عَاصِم وَيَعْقُوب **"يَفْصِلُ بَيْنَكُم"** بِفَتْح الْيَاء وَإِسْكَان الْفَاء وَكسر الصَّاد مُخَفَّفَة، وَقرأ ابْن عَامر **(يُفَصَّل)** بِضَم الْيَاء وَفتح الْفَاء وَالصَّاد مُشَدَّدَة، وَقرأها حَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَخلف كَذَلِك إِلَّا

---

[1] التحرير والتنوير ، لابن عاشور (28/ 130) .
[2] اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (19/ 3) .
[3] البحر المحيط، لأبي حيان (8/ 250) .
[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (19/ 483- 484) .
[5] ينظر: غريب القرآن، للسجستاني (ص: 525) . حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري (29/ 192) . السراج في بيان غريب القرآن، محمد الخضيري (ص: 338) .
[6] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر أحمد بن محمد الدمياطيّ (ص: 539) .

أَنهم كسروا الصَّاد **(يُفَصِّل)** . وَقرأها الْبَاقُونَ بِضَم الْيَاء وَإِسْكَان الْفَاء وَفتح الصَّاد مُخَفّفَة **(يُفْصَلُ)** [1] .

خامسا: إعراب الآيات:

- **«لا تَتَّخِذُوا»** مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعله **«عَدُوِّي»** مفعول به أول **«وَعَدُوَّكُمْ»** معطوف على عدوي **«أَوْلِياءَ»** مفعول به ثان والجملة ابتدائية لا محل لها .

-**«بِالْمَوَدَّةِ» "الباء" قيل: زائدة**[2]، وقيل: سببية، كأنه قيل: تلقون إليهم أسرار رسول الله ρ وأخباره بسبب المودة التي بينكم وبينهم. قاله الزجاج. وإنما جيء بالباء لأن تلقون بمعنى ترمون من الرمي بالشيء يقال ألقى إلي بكذا أي: رمى به، وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب أو رسالة فعبر عنه بالمودة ولهذا جيء بالباء .

- **«إِنْ»** شرطية **«كُنْتُمْ»** ماض ناقص والتاء اسمه **«خَرَجْتُمْ»** ماض وفاعله والجملة الفعلية خبر كنتم، وجملة كنتم ابتدائية لا محل لها **«جِهاداً»** مفعول لأجله،أي لأجل الجهاد **«فِي سَبِيلِي»** متعلقان بجهادا **«وَابْتِغاءَ»** معطوف على جهادا **«مَرْضاتِي»** مضاف إليه، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه قوله "لا تتخذوا" .

- **«فَقَدْ» (الفاء)** رابطة لجواب الشرط **«قَدْ»** حرف تحقيق [3] .

سادسا: الجوانب البلاغية:

- **الاستعارة** في قوله تعالى**{تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}**، فالإلقاء حقيقته: رمي ما في اليد على الأرض، واستعير لإيقاع الشيء بدون تدبر في موقعه، أي: تصرفون إليهم مودتكم بغير تأمل [4] .

- **الالتفات:** في قوله تعالى **{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}** والالتفات من التكلم إلى الغيبة، حيث لم يقل: أن تؤمنوا بي، للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية؛ أي: يخرجون الرسول وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولم يكن لهم جريمة سوى ذلك. وفي هذا تهييج لهم على عداوتهم وعدم موالاتهم[5] .

- **استئناف بياني**[6]: في **قوله تعالى "تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ"** كأنهم لما استشعروا العتاب مما تقدم سألوا ما صدر عنا حتى عوتبنا؟ فقيل: تُسِرُّونَ ... إلخ [7] .

- **الطباق** في قوله تعالى {**وأنا أعلم بما أَخْفَيْتُمْ وما أَعْلَنْتُمْ**} فالإخفاء يقابل الإعلان [8] .

سابعا: المعنى الإجمالي للآيات:

---

[1] تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري (ص: 580) .

[2] وسبق التنبيه إلى أنه تجتنب لفظة الزيادة في القرآن .

[3] ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (10/ 57)، وإعراب القرآن للدعاس (3/ 332) .

[4] التحرير والتنوير، لابن عاشور (28/120 -121) .

[5] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري (29/ 194) .

[6] وهو جملة منقطعة إعرابا عما سبقها، تتضمن جوابا لسؤال مقدر متوقع .

[7] روح المعاني، للألوسي (14/ 261) .

[8] التفسير المنير، للزحيلي (28/ 118) .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أي: يا من صدقتم الله ورسوله **{لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ}** من الكفار والمشركين **{أَوْلِيَاءَ}** أي: أنصاراً **{تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}**، أي: أسرار النبي ρ الحربية ذات الخطر والشأن.

ثم بين تعالى أن سبب النهي عن موالاتهم أمران: **الأول:** في قوله **{وقد كفروا بما جاءكم من الحق}** الذي هو دين الإسلام بعقائده وشرائعه وكتابه ورسوله. **والثاني:** في قوله **{يخرجون الرسول وإياكم }** من دياركم بالمضايقة لكم حتى هاجرتم فارين بدينكم، **{أن تؤمنوا بالله ربكم}** أي: من أجل أن آمنتم بربكم، أَمِثل هؤلاء الكفرة الظلمة تتخذونهم أولياء تدلون إليهم بالمودة ... إنه لخطأ جسيم ممن فعل هذا[1] .

قال ابن كثير: هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم، وعدم موالاتهم، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده. ولهذا قال تعالى: **{أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}** أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله ربّ العالمين كقوله تعالى:ُ ق ق ق ج ج ج ج ج ج ج ً البروج: ٨ . وكقوله تعالى:ُ پ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹً الحج: ٤٠ [2] .

وقوله تعالى: **{إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي}** أي: إن كنتم خرجتم من دياركم مجاهدين في سبيلي، لنصرة ديني ورسولي وأوليائي المؤمنين وطلبا لرضاي فلا تتخذوا الكافرين أولياء دوني .

والمودة في قوله تعالى **{تسرون إليهم بالمودة}** فيها وجهان : **أحدهما:** تعلمونهم سراً أن بينكم وبينهم مودة .

الثاني: تعلمونهم سراً بأحوال النبي ρ بمودة بينكم وبينهم[3] .

والحال أني **{أَعْلَمُ}** منكم ومن غيركم **{بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ}** . وها قد أطلعت رسولي على رسالتكم المرفوعة إلى مشركي مكة والتي تتضمن فضح سرّ رسولي في عزمه على دخول مكة .

وقوله تعالى **{وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ}** أي: الولاء والمودة للمشركين **{فقد ضل سواء السبيل}** أي أخطأ وسط الطريق المأمون من الانحراف يريد جانب الإسلام الصحيح .

ثم ذكر تعالى ثلاثة أمور أخرى تمنع الموالاة وتدل على عداوة المشركين في مكة وغيرها، فقال: **{إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}** أي: إن يظفروا بكم يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة، ويكونوا حربا عليكم، ويمدوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل، وألسنتهم بالسب والشتم، ويتمنوا ارتدادكم وكفركم بربكم ورجوعكم إلى الكفر، فهم يحرصون على ألا تنالوا خيرا، فعداوتهم لكم كامنة وظاهرة، فكيف توالون مثل هؤلاء؟! وهذا تهييج على عداوتهم أيضا .

ثم ذكر الله تعالى أن رابطة الدين والإيمان أوثق وأولى وأنفع من رابطة القرابة والولاء، فقال: **{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ}** الذين وادتم الكفار من أجلهم من عذاب الله في الآخرة،

---

[1] أيسر التفاسير، لأبي بكر جابر الجزائري (3/ 557)، و التفسير المنير، للزحيلي (28/ 121) .

[2] تفسير ابن كثير (8/ 86) .

[3] النكت والعيون، للماوردي (4/ 260) .

لأن حاطب ابن أبي بلتعة τ كتب الكتاب من أجل قرابته وأولاده فبين تعالى خطأه في ذلك.
وقوله تعالى: {**يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ**} بأن تكونوا في الجنة أيها المؤمنون ويكون أقرباؤكم وأولادكم المشركون في النار. {**والله بما تعملون بصير**} فراقبوه واحذروه فلا تخرجوا عن طاعته وطاعة رسوله [1] .

قال السمين الحلبي: يجوز في يَوْمَ الْقِيامَةِ وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بما قبله، أي: لن تنفعكم يوم القيامة، فيوقف عليه، ويبتدأ بـ "يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ" .

والثاني: أن يتعلق بما بعده، أي: يفصل بينكم يوم القيامة، فيوقف على أَوْلادكمْ، ويبتدأ بـ "يَوْمَ الْقِيامَةِ" [2] .

ثامنا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:

1-تحريم موالاة الكفار ومناصرتهم ومعاونتهم بأي وجه من الوجوه، فالسورة أصل في النهي عن موالاة الكفار ولو في الظاهر، مع عدم الرضا في القلب بالاعتقاد الذي هم عليه .

2-من كَثُر تطلعه على عورات المسلمين ونقل أخبارهم للأعداء، لم يكن بذلك كافرا إذا كان فعله لغرض دنيوي، وكان اعتقاده سليما، كما فعل حاطب حين قصد اتخاذ اليد، ولم ينو الرّدّة عن الدّين .

3- الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى الكافرين على خطر عظيم وإن صام وصلى .

4- ذكرت الآيات خمسة أسباب لتحريم موالاة الكفار، وهي: 1- الكفر بالله تعالى والرسول ρ، 2- وإخراج الرسول ρ والمؤمنين من ديارهم وأموالهم في مكة، 3- وعداوتهم ومحاربتهم للمؤمنين، 4- وقتالهم إياهم وضربهم فعلا، وسبهم وشتمهم، 5- وحرصهم على كفرهم بمحمد ρ .

5- بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم لأن قلوبهم عمياء لا يعرفون معروفاً ولا منكراً بظلمة الكفر في نفوسهم وعدم مراقبة الله عز وجل، لأنهم لا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم يوم القيامة .

6- فضل أهل بدر وكرامتهم على الله عز وجل .

7- قبول عذر الصادقين الصالحين ذوي السبق في الإسلام إذا عثر أحدهم اجتهاداً منه .

8- حذّر الله تعالى من مخالفة نهيه عن موالاة الأعداء بأمرين:

أولهما: أنه سبحانه الأعلم بما تخفي الصدور، وما تظهر الألسن من الإقرار بالله وتوحيده .

وثانيهما: أن من يوالي الكفار ويسرّ إليهم ويكاتبهم من المسلمين، فقد ضل سواء السبيل

9- الذي يفيد الإنسان يوم القيامة هو الإيمان الصحيح والعمل الصالح، أما الأهل والأولاد و القرابات أو الأنساب، فلا ينفعون شيئا، لأن الله تعالى يفصل بين الأقارب وغيرهم يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار، لأنه سبحانه بصير بأعمال عباده، ويجازيهم عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر[3] .

---

[1] التفسير المنير، للزحيلي (28/ 122)، أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 322) .

[2] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (10/ 302) .

[3] ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/322- 323)، والتفسير المنير، للزحيلي (28/ 124) .

المحاضـرة الخامسـة:

التأسي بإبراهيـم والمؤمنين معه في تبرئـهم من الكفـار ولو كان أقربـاء (من الآيـة 4 إلى الآية 7) :

ٹٹٱٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ
ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې
ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □□ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ
پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ
ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ممتحنة: ٤ - ٧

أولا: سبب النزول:

ذكر الواحدي أنه لما نزل قوله تعالى ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ عادى المؤمنون أَقْرِبَاءَهُمُ الْمُشْرِكِينَ فِي اللَّهِ، وَأَظْهَرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَرَاءَةَ، وَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى شِدَّةَ وَجْدِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ سبحانه: ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ. ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ بِأَنْ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَصَارُوا لَهُمْ أولياءَ وإخواناً، فخالطوهم وَنَاكَحُوهُمْ، وَتَزَوَّجَ رسول اللَّه ρ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ. فَلَانَ لَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ - وَهُوَ مُشْرِكٌ- فَقَالَ: ذَاكَ الْفَحْلُ لَا يُقْرَعُ أَنْفُهُ [1] .

وقد ردّ ابن عطية أن يكون هذا سبب لنزول الآية إنما هو مجرد مثال يساق في تفسيرها ليفهم معناها فقال: "ومن ذكر أن هذه المودة تزويج النبي ρ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأنها كانت بعد الفتح، فقد أخطأ لأن النبي ρ تزوجها وقت هجرة الحبشة، وهذه الآيات نزلت سنة ست من الهجرة، ولا يصح ذلك عن ابن عباس إلا أن يسوقه مثالا وإن كان متقدما لهذه الآية، لأنه استمر بعد الفتح كسائر ما نشأ من المودات" [2] .

ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما نهى سبحانه عن مُوالاةِ الكُفَّار وأبلغ في وعظهم في ذلك، وكانت عادته التربية بالماضين، ضرب لهم مثلا يقتدون به وهو براءة إبراهيم υ والمؤمنين معه من قومهم، فقال سبحانه {قد كانت} أي وجدت فاقتدوا به إلاَّ في الاستغفار لأبيه [3] .

ثالثا: غريب الألفاظ:

- **{أُسْوَةٌ}** قُدْوَةٌ وعبرةٌ .
- **{بُرَءَاؤُا}** بَرِيئُونَ .
- **{العداوة و: البغضاء}** :قال ابن عاشور :" والذي أرى أنّ بين معنيي العداوة والبغضاء التضادّ والتباين؛ **فالعداوة** كراهية تصدر عن صاحبها: معاملةٌ بجفاء أو قطيعة أو إضرار، لأنّ العداوة مشتقّة من العدو وهو التجاوز والتباعد، **وأما البغضاء:** شدّة الكراهية غير مصحوبة بَعَدوْ ، فإذا كان كذلك لم يصحّ اجتماع معنيي العداوة والبغضاء في موصوف واحد في وقتٍ

---

[1] أسباب النزول، للواحدي (ص: 443) .

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تفسير، لابن عطية (5/ 296) .

[3] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (19/ 15)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (19/ 496) .

واحد فيتعيّن أن يكون إلقاؤهما بينهما على معنى التّوزيع، أي: أغرينا العداوة بين بعض منهم والبغضاءَ بين بعضٍ آخر . فوقع في هذا النظم إيجاز بديع[1] .

-{**إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ**}قال قتادةُ: ائْتَسُوا بأمر إبراهيمَ كلِّه إلا في استغفاره لأبيه، لأنه كان عن موعدة منه له[2].

- {**أَنَبْنَا**} **النَّوْب**: رجوع الشيء مرّة بعد أخرى .

- {**الْمَصِيرُ**} المَرْجِعُ .

- {**فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**} بِعَذَابِكَ لَنَا، أَوْ تَسْلِيطِ الكُفَّارِ عَلَيْنَا، فَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ عَلَى حَقٍّ، مَا أَصَابَهُمُ العَذَابُ، فَيَزْدَادُوا كُفْرًا .

- {**يَرْجُو اللَّهَ**} يَطْمَعُ فِي الخَيْرِ مِنَ اللهِ .

- {**يَتَوَلَّ**} يُعْرِضْ عَنِ الِاقْتِدَاءِ بِالأَنْبِيَاءِ، وَيُوَالِ أَعْدَاءَ اللهِ .

- {**الْحَمِيدُ**} المَحْمُودُ فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ [3] .

رابعا: القراءات الواردة في الآيات:

- **(أُسْوَة)** قرأها عَاصِم بِضَم الْهمزَة، وَقرأها الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا[4] .

- **(وفِي إِبْراهِيمَ)** قرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها (إبراهَام)، والباقون بكسرها بعدها ياء[5] .

- «**بُرءآء**» قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس «بُرَءَاءُ» على وزن فُعلاء الهمزة الأولى لام الفعل، وقرأ عيسى الثقفي: «بِرَاءُ» على وزن فعال، بكسر الباء ككريم وكرام، وقرأ يزيد بن القعقاع: «بُراء» على وزن فعال، بضم الفاء كنوام، وقد رويت عن عيسى قراءة، قال أبو حاتم: زعموا أنه عيسى الهمداني ويجوز: «بَراء» على المصدر بفتح الباء يوصف به الجمع والإفراد[6] .

- **(وَالْبَغْضاءُ أَبَداً)** قرأ الحرميان والبصري بتحقيق الأولى وإبدال الثانية واوا ، والباقون بتحقيقهما[7] .

خامسا: إعراب الآيات:

- «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ**» اللام واقعة في جواب قسم محذوف[8]، ومضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر والجملة جواب القسم لا محل لها «**لَكَ**» متعلقان بالفعل .

- «**رَبَّنا**» منادى مضاف «**لا تَجْعَلْنا**» مضارع مجزوم بلا و «**نا**» مفعول به أول «**فِتْنَةً**» مفعول به ثان «**لِلَّذِينَ**» متعلقان بفتنة والجملتان الندائية والفعلية استئنافيتان لا محل لهما .

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور (6/ 148) .

[2] غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: 461) .

[3] المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: 827) . السراج في بيان غريب القرآن، الخضيري (ص: 338) .

[4] تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري (ص: 512) .

[5] غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد الصفاقسي (ص: 581) .

[6] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 295) .

[7] غيث النفع في القراءات السبع ، للصفاقسي(ص: 581) .

[8] ويقال ذلك تجوُّزا، وإلا فالأصح أن يقال: موطئة لجواب القسم، ومعناه أنها مؤذنة أن ما بعدها جواب للقسم .

- «**لَقَدْ**» اللام واقعة في جواب قسم محذوف «**قد**» حرف تحقيق «**كانَ لَكُمْ**» كان وجار ومجرور خبرها المقدم «**فِيهِمْ**» متعلقان بمحذوف خبر ثان «**أُسْوَةٌ**» اسم كان المؤخر «**حَسَنَةٌ**» صفة، والجملة جواب القسم المقدر لا محل لها [1] .

سادسا: الجوانب البلاغية:

- {**رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**} تقديم ما حقه التأخير، وهو الجار والمجرور على ما بعده (توكلنا عليك، أنبنا إليك)، وذلك لإفادة الحصر .

- {**لقد كان لكم فيهم**} أعيد لتأكيد التحريض والحث على عدم إضاعة التأسي بهم، وليبنى عليه قوله {لمن كان يرجو الله واليوم الآخر} الخ . وقُرن هذا التأكيد بلام القسم مبالغة في التأكيد .

- {**كان لكم**}وإنما لم تتصل بفعل "كان " تاء تأنيث مع أن اسمها مؤنث اللفظ (أسوة) لأمرين: **الأول:** لأن تأنيث أسوة غير حقيقي، والثاني: لوقوع الفصل بين الفعل و مرفوعه بالجار والمجرور (فيهم) .

- {**ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد**} وضمير الفصل في قوله (هو الغني) توكيد للحصر الذي أفاده تعريف الجزأين، وهو حصر ادعائي لعدم الاعتداد بغنى غيره ولا بحمده ، أي هو الغني عن المتولين لأن النهي عما نهوا عنه إنما هو لفائدتهم لا يفيد الله شيئاً فهو الغني عن كل شيء .

- {**(الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ) و (قَدِيرٌ) و (غَفُورٌ رَحِيمٌ) }** صيغة مبالغة، لأنها على وزن فعيل .

- {**والله قدير**} تذييل، والمعنى: أنه شديد القدرة على أن يغير الأحوال فيَصيرَ المشركون مؤمنين صادقين وتصيرون أودَّاء لهم [2] .

سابعا: المعنى الإجمالي للآيات:

قوله تعالى {**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**} من أهل الإيمان، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبا من عصره، ورجح ابن عطية[3] هذا القول لأنه لم يرو أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحته نمرودا، ففي البخاري أنه قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجرا من بلد النمرود: "ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك"[4] . {**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ**} من المشركين {**إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ**} جحدنا وأنكرنا دينكم {**وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**} أمر تعالى حاطبًا والمؤمنين بالإقتداء بإبراهيم υ والذين معه من المؤمنين في التبرّؤ من المشركين، {**إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**} أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله، عز وجل:ُ ت ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ

---

[1] ينظر: إعراب القرآن، للدعاس (3/ 332 -333)، والجدول في إعراب القرآن، محمود صافي (28/ 218 - 221)، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين مصطفى درويش (10/ 61 - 64) .

[2] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (149/28- 151)، والتفسير المنير، للزحيلي (28/ 126) .

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 295) .

[4] رواه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، باب قول الله تعالى { واتخذ الله إبراهيم خليلا }، رقم: 3179 .

ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ
ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ التوبة: ١١٣ – ١١٤، وقوله **{وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}** ،
يقول إبراهيم لأبيه: ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به .

قوله تعالى {رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب وترضى. {وإليك المصير} يقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العرض، **وقوله { رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا}** أي: لا تظهرهم علينا فيظنّوا أنهم على الحقّ فيفتتنوا، وقال مجاهد: لا تعذّبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحقّ ما أصابهم ذلك، **و**عن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتتنونا، **وقوله {وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي[1] .

قوله تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ}، أي: في إبراهيم ومن معه، **{أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}**، هذا بدل من قوله {لَكُمْ}، وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة، **{وَمَن يَتَوَلَّ}** يُعرض عن الإيمان ويوالي الكفار، **{فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ }** عن خلقه، **{الْحَمِيدُ}** إلى أوليائه وأهل طاعته . قال ابن كثير: وقوله تعالى "ومن يتولّ"، أي: عما أمره الله به **{فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (الغني)** قال ابن عباس: (الغنيّ الذي قد كمل في غناه وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤ وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، **و(الحميد)** المستحمد إلى خلقه، أي: هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا ربّ سواه) .

قوله تعالى {عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً} قال ابن زيد: هؤلاء المشركون وقد فعل، قد أدخلهم الله في السلم وجعل بينهم مودّة حين كان الإسلام حين الفتح. وقال البغوي: قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنين أقرباؤهم المشركين وأظهروا لهم العدواة والبراءة، فعلم الله شدّة وجد المؤمنين بذلك، فأنزل الله {عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم} أي: من كفار مكة مودّة، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخوانًا وخالطوهم وناكحوهم .

وقوله: **(عاديتم منهم مودة)** فيهم قولان : أحدهما: أهل مكة حين أسلموا عام الفتح فكانت هي المودة التي صارت بينهم وبين المسلمين، قاله ابن زيد . الثاني : أنه إسلام أبي سفيان [2] .

{ والله قدير } على جعل المودة **{ والله غفور }** لهم **{ رحيم }** بهم بعدما أسلموا [3] .

<u>ثامنا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:</u>

1- وجوب الاقتداء بالصالحين والتأسي بهم في الصالحات .

2- جعل الله إبراهيم الخليل υ أسوة حسنة للمؤمنين في التبرؤ من الكفار، فعلى من آمن بالله ورسوله الاقتداء به إلا في استغفاره لأبيه، فلا يتأسون به في الاستغفار للمشركين، لأنه كان عن موعدة منه له .

---

[1] ينظر: جامع البيان، للطبري (22/ 567 - 568)، وزاد المسير، لابن الجوزي (4/ 54)، وتفسير البيضاوي (ص: 327) .

[2] النكت والعيون، للماوردي (4/ 262) .

[3] ينظر تفسير هذه الآيات: تفسير ابن كثير (8/ 88)، وتوفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل آل مبارك (4/ 261-260) .

3- صرح إبراهيم υ ومن آمن معه بسبب البراءة من الكفار وهو: كفرهم بالله وإيمانهم بالأوثان، وستظل العداوة والبغضاء قائمة في القلوب على الدوام بين المؤمنين وغيرهم ما دام هؤلاء الكفار على كفرهم، حتى يعلنوا إيمانهم بالله وحده لا شريك له، فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة .

4- حرمة موالاة الكافرين ووجوب معاداتهم ولو كانوا أقرب قريب .

5- كل عداوة وبغضاء تنتهي إذا رجع العبد إلى الإيمان والتوحيد بعد الكفر والشرك .

6- لا يجوز الاقتداء في غير الحق والمعروف فإذا أخطأ العبد الصالح فلا يتابع على الخطأ .

7- وجوب تقوية المؤمنين بكل أسباب القوة لأمرين؛ **الأول:** خشية أن يغلبهم الكافرون فيفتنوهم في دينهم ويردوهم إلى الكفر، **والثاني:** حتى لا يظن الكافرون الغالبون أنهم على حق بسبب ظهورهم على المسلمين فيزدادوا كفراً فيكون المسلمون سبباً في ذلك فيأثمون للسببية في ذلك[1] .

[1] ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 326) ، والتفسير المنير، للزحيلي (28/ 131) .

المحاضرة السادسة:
التفصيل في معاملة الكفار بين المباح والممنوع
(من الآية 8 إلى الآية 9):

ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴿الممتحنة: ٨ - ٩﴾.

أولا: سبب النزول:

روى أحمد في المسند عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَدِمَتْ قُتَيْلَةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ أَسْعَدَ مِنْ بَنِى مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِى بَكْرٍ بِهَدَايَا ضِبَابٍ وَأَقِطٍ وَسَمْنٍ وَهِي مُشْرِكَةٌ فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَتُدْخِلَهَا بَيْتَهَا فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ النَّبِيَّ ρ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا [1].

ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد النهي عن موالاة الكافرين، والحث على القطيعة بالتأسي بإبراهيم ومن معه، ثم تهوين الأمر على المؤمنين بإخبارهم أن الله قادر على تغيير أوضاع المشركين من الكفر إلى الإيمان، رخّص الله تعالى في صلة الذين لم يقاتلوا المؤمنين من الكفار، ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يعاونوا على إخراجهم [2].

ثالثا: غريب الألفاظ:

- **{تَبَرُّوهُمْ}** تُكْرِمُوهُمْ.
- **{وَتُقْسِطُوا}** تَعْدِلُوا فِيهِمْ، والمقسطون هم العادلون.
- **{وَظَاهَرُوا}** عَاوَنُوا.
- **{أَن تَوَلَّوْهُمْ}** أَنْ تَنْصُرُوهُمْ، وَتَوَدُّوهُمْ [3].

رابعا: إعراب الآيات:

- **"إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ»** **إنما كافة ومكفوفة** ومضارع ومفعوله ولفظ الجلالة فاعله والجملة لا محل لها.

- **«وَمَنْ»** الواو حرف استئناف واسم شرط مبتدأ **«يَتَوَلَّهُمْ»** مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط والهاء مفعوله **«فَأُولئِكَ»** **الفاء رابطة** واسم الإشارة مبتدأ **«هُمُ»** ضمير فصل **«الظَّالِمُونَ»** خبر والجملة في محل جزم جواب الشرط وجملتا الشرط والجواب خبر من، وجملة من ... استئنافية لا محل لها [4].

خامسا: الجوانب البلاغية:

- **{لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ... إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ}** القصر المستفاد من جملة "إنما ينهاكم الله" إلى آخرها قصر قلب لرد اعتقاد من ظن أو شكَّ في جواز صلة المشركين على الإطلاق.

---

[1] رواه أحمد في مسند عبد الله بن الزبير، (26/ 37)، برقم: 16111.
[2] التفسير المنير للزحيلي (28/ 135).
[3] ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني(ص: 540)، والسراج في بيان غريب القرآن (ص: 339).
[4] إعراب القرآن، للدعاس (3/ 333).

- **{(لا يَنْـهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) -مع-(إِنَّما يَنْـهاكُمُ اللَّهُ)}** بينهما طباق السلب .
- **{فأولئك هم الظالمون}** قصر ادعائي، أي: أن ظلمهم لشدَّته ووقوعه بعد النهي الشديد والتنبيه على الأخطاء والعصيان ظلم لا يغفر لأنه اعتداء على حقوق الله وحقوق المسلمين وعلى حق الظالم نفسه [1] .

سادسا: المعنى الإجمالي للآيات:

قوله تعالى (لا ينـهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدِّين) من الكفار **(ولم يُخرجوكم من دياركم أَنْ تَبَرُّوهُمْ)** وتكرموهم وتحسنوا إليهم قولاً وفعلاً، وتمنحوهم صِلَتكم وتعدلوا بينهم، إنَّ الله يُحب أَهل البر، والتَّواصل والحق والعدل. **(وتقسطوا إليهم)** أي تفضوا إليهم بالقسط وتعدلوا فيهم بالإحسان إليهم والبر. يقال: أقسطت إلى الرجل إذا عاملته بالعدل، قال الزجاج: المعنى وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد ولا تظلموهم، وإذا نهى من الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم؟ **(إن الله يحب المقسطين)** أي: العادلين، جاءَ في الحديث الصحيح: (المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش: الذين يعدلون في حُكمهم وأَهاليهم وما وَلُوا)[2]، وقال الحسن: نزلت الآية في خُزاعة وغيرها من قبائل العرب كانوا صالحوا رسول الله ρ على ألا يقاتلوه وألا يعينوا عليه، وقال قرة الهمداني: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس، وعن عبد الله بن الزبير: نزلت في النساءِ والصبيان من الكفرة، والأكثرون على أَنها نزلت في كفرة اتصفوا بما في الآية أَي: (لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) . قال ابن زيد: كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال، **ثم نسخ**، قال قتادة: نسخ بقولهُ ھ ھ ے ۓ التوبة: ٥، وقيل: هذا الحكم كان ثابتاً في الصلح بين النبي ρ وبين قريش، فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم، وقيل: هي خاصة في حلفاء النبي ρ من بينه وبينه عهد؛ قاله الحسن، وقال الكلبي: هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف، وقال مجاهد: هي خاصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا، **وحكى القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنها محكمة**، وهو الأولى لحديث أسماء المتقدم المتفق عليه .

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أَي: إنما ينهاكم الله عن الذين حاربوكم في الدين ليصدُّوكم عنه وأَجبروكم على الخروج من دياركم وعاونوا على إخراجكم كمشركي مكة، فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤْمنين وهم الصناديد والأكابر وبعضهم أَعانوا من أَخرجوهم وهم باقي المشركين، وإنما ينهاكم الله عن موالاتهم وأَن تتخذوهم أَنصارا لكم وأَعوانا ويأمركم بمعاداتهم، ثم أَكدَّ الوعيد على موالاتهم فقال: **(وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)** أَي: ومن يتخذوهم أَولياءَ وأَعوانًا فأُولئك هم الكاملون في الظلم لوضعهم الولاية موضع العداوة، أَو هم الظالمون لأَنفسهم بتعريضها للعذاب، وفي أَسلوب القصر من المبالغة ما لا يخفى[3] .

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (28/ 153- 154)، والتفسير المنير، للزحيلي (28/ 134) .

[2] رواه مسلم في ك: الإمارة، باب: فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، رقم: 3406 .

[3] ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان (14/ 83)، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث بالأزهر (1382/10- 1383) .

سابعا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:

ـ أبانت الآيتان أن للكفار من المسلمين موقفين: إما المسالمة وإما المعاداة، فيجوز برّهم وفعل الخير لهم، والحكم بينهم وبين غيرهم بالعدل إذا لم يقاتلوا في الدين أو الدنيا، ولم يخرجوا المؤمنين من ديارهم، ولم يعينوا على إخراجهم، فإن الله يحب العادلين مع جميع الناس فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل .

ـ قال قتادة: كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال، **ثم نسختها** ﴿ ﻫ ﻫ ﻫ ﴾ التوبة: ٥، وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة بدليل إباحة صلة أسماء أمّها .

ـ استدل بهذه الآية بعض العلماء على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر، وأجيب بأن الإذن في الشيء أو ترك النهي عنه، لا يدل على وجوبه، وإنما يدل على الإباحة فقط .

ـ لا يجوز اتخاذ الأولياء والأنصار من الذين قاتلوا المسلمين على الدين، وأخرجوهم من ديارهم وعاونوا على إخراجهم، من مشركي أهل مكة، فمن فعله فأولئك هم الظلمة المستحقون للعقاب الشديد [1] .

[1] التفسير المنير، للزحيلي (28/136- 137) .

المحاضرة السابعة:
امتحان المؤمنين للمهاجرات والأحكام المتعلقة بذلك (من الآية 10 إلى الآية 11):

ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ

الممتحنة: ١٠ ــ ١١.

أولا: سبب النزول:

عن عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة τما يخبران عن أصحاب رسول الله ρ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يوم الحديبية، كان فيما اشترط على النبي ρ (أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه). فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي ρ على ذلك فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلما. وجاء المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ρيومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ρ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما نزل فيهن {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} إلى قوله {وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} .

قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ρكان يمتحنهن بهذه الآية {يَا أَيُّهَا النبيء إذا جاءك ... غَفُورٌ رَحِيمٌ}، قال عروة قالت عائشة τا: فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ρ قد بايعتك كلاما يكلمها به، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة وما بايعهن إلا بقوله [1] .

ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أمر الله المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك هجرة المسلمين عن بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وكان التناكح من أوكد أسباب الموالاة، فبين أحكام مهاجرة النساء [2] .

ثالثا: غريب الألفاظ:

- **{فَامْتَحِنُوهُنَّ}** فَاخْتَبِرُوهُنَّ؛ لِتَعْلَمُوا صِدْقَ إِيمَانِهِنَّ .
- **{فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ}** تَرُدُّوهُنَّ .
- **{أُجُورَهُنَّ}** مُهُورَهُنَّ .
- **{ِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}** أي حبالهن. واحدتها: "عِصمة"، والمعنى: لا تمسكوا عُقُود نِكَاحِ زَوْجَاتِكُمُ الكَافِرَاتِ .
- **{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ }** إن ذهبت امرأة من نسائكم فلحقتْ بالمشركين بمكة .
- **{فَعَاقَبْتُمْ}** أي: أصبتم منهم عُقْبَى، وهي الغنيمة من الغزو [3] .

رابعا: القراءات الواردة في الآيات:

---

[1] الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي (ص: 210) .

[2] تفسير القرطبي (18/ 61) .

[3] ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص/461- 462)، والسراج في بيان غريب القرآن (ص: 339) .

- {**فامتحنوهن**} وقف عليه "يعقوب" بهاء السكت، لوقوع نون النسوة بعد هاء الضمير {**فامتحنوهنه**} .

- {**وَلا تُمْسِكُوا**} قرأ "أبو عمرو ويعقوب" بضم التاء وفتح الميم وتشديد السين {**وَلا تُمَسِّكُوا**} من مسّك رباعيا مضعفا، وعن "الحسن" بفتح التاء والميم وتشديد السين المفتوحة {**وَلا تَمَسَّكُوا**}, والأصل تتمسكوا حذفت إحدى التاءين، و"الباقون" بضم التاء وسكون الميم وتخفيف السين{**وَلا تُمْسِكُوا**} من أمسك .

- {**واسألوا**} نقل حركة الهمزة إلى السين وحذف الهمزة (وسلوا) ابن كثير والكسائي وخلف في باب النقل. وكذا حمزة إن وقف .

- {**فعقبتم**} قرأ الحسن بالقصر وتشديد القاف {**فعقّبتم**} [1] .

خامسا: إعراب الآيات:

- «**إذا**» ظرفية شرطية غير جازمة «**جاءَكُمُ**» ماض ومفعوله و «**الْمُؤْمِناتُ**» فاعل والجملة في محل جر بالإضافة «**مُهاجِراتٍ**» حال «**فَامْتَحِنُوهُنَّ**» **الفاء رابطة** وأمر مبني على حذف النون والواو فاعله والهاء مفعوله والجملة جواب الشرط لا محل لها .

- «**وَ**» الواو حرف عطف «**إِنْ**» شرطية «**فاتَكُمْ**» ماض ومفعوله «**شَيْءٌ**» فاعله «**مِنْ أَزْواجِكُمْ**» متعلقان بالفعل «**إِلَى الْكُفَّارِ**» متعلقان بالفعل أيضا والجملة معطوفة على ما قبلها [2] .

سادسا: الجوانب البلاغية:

- {**اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ**} جملة اعتراضية للإشارة إلى أن التعامل مع الناس يكون بحسب الظاهر .

- {**لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ، وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**} فيهما ما يسمى في علم البديع بالعكس والتبديل(هو أن تقدم في الكلام جزءا، ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت) مع تغيير يسير بين (حل) و (يحلون) اقتضاه المقام، ووجه ذلك أنه جيء في الجملة الثانية بالمسند فعلا مضارعا لدلالته على التجدد لإفادة نفي الطماعية في التحليل ولو بتجدده في الحال بعقد جديد أو اتفاق جديد على البقاء في دار الإسلام، ويحقق هذا المحسن البديعي جمالية التقابل بين المعاني والألفاظ .

- { **وآتوهم ما أنفقوا** } العدول عن إطلاق اسم المهور والأجور على ما دفعه المشركون لنسائهم، وهذا من لطائف القرآن، لأن أولئك النساء أصبحن غير زوجات فألغي إطلاق اسم المهور على ما يدفع لهم، وقد سمى الله بعد ذلك ما يعطيه المسلمون لهن أجورا بقوله تعالى (آتيتموهن أجورهن) لزواجهم بهن .

- {**وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار**} **لفظة {شيء}** هنا مراد به: بعض **(من أزواجكم)**، وجاءت بهذا اللفظ، تحقيرا للزوجات اللائي أبين الإسلام، أي: قد فاتت ذاتها عن زوجها فلا انتفاع له بها[3] .

سابعا: المعنى الإجمالي للآيات:

---

[1] ينظر: النشر في القراءات العشر (2/ 427)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 540)، والبذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي (ص: 319) .

[2] ينظر: إعراب القرآن، للدعاس (3/ 335)، إعراب القرآن وبيانه (10/ 68) .

[3] التحرير والتنوير، لابن عاشور (ص: 4392- 4394) .

قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُواْ} بيانٌ لحكمِ من يُظهرُ الإيمانَ بعدَ بيانِ حُكم فريقي الكافرينِ **{إِذَا جَاءكُمُ المؤمنات مهاجرات}** من بينِ الكفار **{فامتحنوهن}** فاختبروهم بما يغلبُ على ظَنِّكم موافقة قلوبهنَّ للسانِهنَّ في الإيمانِ **{الله أَعْلَمُ بإيمانهن}** لأنَّه المطلعُ على ما في قلوبهنَّ والجملةُ اعتراضٌ **{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ}** بعدَ الامتحانِ **{مؤمنات}** وذلك بالاستدلال بالأماراتِ **{فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكفار}** أي: إلى أزواجِهنَّ الكفرةِ [1] .

وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال: **أحدها**: أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها، ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة، **والثاني:** أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، **والثالث:** أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان، والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها[2] .

وقوله تعالى{ **لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** } لأن الإسلام فصم العصمة التي كانت بين الزوج وزوجته، لحرمة نكاح المشركات و إنكاح المشركين، ولذا لم يأذن الله تعالى في ردهن إلى أزواجهن الكافرين .

قال الشوكاني: "واختلف أهل العلم هل دخل النساء في عهد الهدنة أم لا؟ على قولين، فعلى القول بالدخول: تكون هذه الآية مخصصة لذلك العهد، وبه قال الأكثر، وعلى القول بعدمه: لا نسخ ولا تخصيص[3] .

وقوله تعالى { **وآتوهم ما أنفقوا** } إذا جاء زوجها المشرك يطالب بها فأعطوه ما أنفق عليها من مهر والذي يعطيه هم جماعة المسلمين وإمامهم، فإذا لم يطالب الزوج الكافر بذلك ولم يحضر لطلبه، أو كانت ماتت قبل حضور الزوج لم يغرم المهر، وإنما نغرم الصداق المسمى في أصل العقد لا مهر المثل؛ لأن الله تعالى قال: **{وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا}**، فإن كان المسمى خمرًا أو خنزيرًا لم نغرم شيئًا، لأن ذلك ليس بمال، وان كان المسمى مالاً ولكنه لم يسلمه إليها لم نغرم له شيئاً؛ لأنه ما أنفق شيئًا. وكذلك لو كانت أبرأته. وقال مقاتل: يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين، فإن لم يتزوجها من المسلمين أحد فليس لزوجها الكافر شيء .

وقوله تعالى { **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن** } أي تتزوجهن **(إذا آتيتموهن أجورهن)** أي مهورهن مع باقي شروط النكاح من ولي وشاهدين وانقضاء العدة في المدخول بها. وهذا مختلف بالمرأة فإن إسلامها إن كان قبل المسيس بانت منه بنفس الإسلام ولا عدة لها, ولها أن تنكح مسلمًا في الحال، وإن كان بعد المسيس كان النكاح موقوفًا على انقضاء العدة، فإن أسلم الزوج قبل انقضاء العدة فهما على النكاح الأول، وإن انقضت عدتها قبل إسلام الزوج علمنا أنها بانت منه يوم أسلمت .

وقوله تعالى{ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** } العصم جمع العصمة وهي كل ما عصمك واعتصمت به، فإذا أسلم الرجل وبقيت امرأته مشركة انقطعت عصمة الزوجية وأصبحت لا تحل لزوجها الذي أسلم، وكذا إذا ارتدت امرأة مسلمة ولحقت بدار الكفر فإن العصمة قد

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (8/ 239) .

[2] التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (2/ 367) .

[3] فتح القدير، للشوكاني (5/ 256) .

انقطعت ولا يحل الإمساك بها [1]، وفي الصحيح، عن المسور ومروان بن الحكم: أن رسول الله ρ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساء من المؤمنات، فأنزل الله **{ ولا تمسكوا بعصم الكوافر}** فطلق عمر بن الخطاب τ يومئذ امرأتين، تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية [2] .

وقوله **تعالى { واسألوا ما أنفقتم }** اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر يؤدى لكم، وليسألوا هم ما أنفقوا وأعطوهم أيضا مهور نسائهم اللائي أسلمن وهاجرن إليكم، وقوله تعالى **{ ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم }** بخلقه وحاجاتهم **{ حكيم }** في قضائه وتدبيره فليسلم له الحكم وليرض به فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع. فإن رضوا بهذا الحكم وردوا المهر على المسلم أخذه وإن لم يردوا طائعين أو كانوا أهل حرب ولم يكونوا أهل عهد، فالحكم ما ذكره في قوله: **{وَإِنْ فَاتَكُمْ} الآية .**

وقوله تعالى { وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا } قال ابن قتيبة: **{فَعَاقَبْتُمْ}** أي: أصبتم عقبى، أي: غنيمة من غزوٍ، والمعنى: وإن ذهب بعض نسائكم إلى الكفار مرتدات، وطالبتم بالمهور فلم يعطوكم ثم غزوتم وغنمتم فأعطوا من الغنيمة قبل قسمتها الذي ذهبت زوجته إلى دار الكفر ولم يحصل على تعويض أعطوه مثل ما أنفق .

قال ابن عباس في كتاب الثعلبي: خمس نسوة من نساء المهاجرين رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد، وفاطمة بنت أبي أمية أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، وعبدة بنت عبد العزى كانت تحت هشام بن العاص، وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر، فأعطاهم النبي ρ مهور نسائهم من الغنيمة .

وقوله { واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون } أي خافوا عقابه فأطيعوه في أمره ونهيه ولا تعصوه[3] .

<u>ثامنا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:</u>

1- وجوب امتحان النسوة اللاتي هاجرن من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، ليعرف مدى صدق إيمانهن .

2- أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان ρ عاهد قريشا في صلح الحديبية، من أنه يرد إليهم من جاءه منهم مسلما، فنسخ من ذلك النساء، وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن.

ويرى بعضهم أن الآية نزلت بيانا لنص العقد، وأنه ما تناول إلا الرجال، فهو من تخصيص العام المتأخر.

ومذهب مالك والشافعي: أن هذا الحكم غير منسوخ، وعقد الصلح على ذلك جائز. قال الشافعي: وليس لأحد هذا العقد إلا الخليفة أو رجل يأمره، لأنه يلي الأموال كلها .

---

[1] أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 247) .

[2] تفسير ابن كثير (8/ 94) .

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (5/ 298) .

3- أن هذا الامتحان في الظاهر، والله في الحقيقة أعلم بإيمانهن، لأنه متولّي السرائر، فإذا غلب على الظن إيمان المهاجرات، لم يجز ردهن إلى بلاد الكفار، لأن الله لم يحل مؤمنة لكافر، ولا نكاح مؤمن مشركة .

4- يجب على المسلمين أن يردوا على زوج المرأة التي أسلمت ما أنفق من المهر، وذلك من الوفاء بالعهد، حتى لا يخسر الأمرين: الزوجة والمال .

5- لا غرم للمهر إلا إذا طالب الزوج الكافر به، فإن ماتت المرأة قبل حضور الزوج لم نغرم المهر، وإن كان المهر المسمى خمرا أو خنزيرا لم نغرم شيئا، لأنه لا قيمة له . وللشافعي في هذا الحكم قولان: أحدهما: أن هذا منسوخ، والثاني: يعطى الزوج المهر إن طالب به، وليس ذلك لأحد من الأولياء سوى الزوج .

6- إن المطالب برد مثل ما أنفق إلى الأزواج هو الإمام من بيت المال، وهذا الحكم- كما قال مقاتل- خاص برد صداق نساء أهل العهد، فأما من لا عهد له مع المسلمين، فلا يرد إليهم الصداق .

7- يباح للمسلمين الزواج بالمهاجرات المسلمات إذا انقضت عدتهن، لما ثبت من تحريم نكاح المشركة والمعتدّة، فإن أسلمت قبل الدخول، فلها التزوج في الحال، إذ لا عدة عليها .

8- قوله تعالى: **{وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ}** دليل على تحريم التزوج بالمشركات عبدة الأوثان، فهي خاصة بالكوافر من غير أهل الكتاب، فإذا أسلم وثني أو مجوسي ولم تسلم امرأته فرّق بينهما عند المالكية .

ومنهم من قال: ينتظر بها تمام العدة، وهو قول الشافعي وأحمد. وقال الحنفية: إذا أسلمت المرأة، عرض على الزوج الإسلام، فإن أسلم وإلا فرّق بينهما . وهذا الاختلاف إنما هو في المدخول بها، فإن كانت غير مدخول بها، فلا خلاف في انقطاع العصمة بينها وبين زوجها، إذ لا عدة عليها. وهذا مذهب مالك أيضا في المرأة المرتدة وزوجها مسلم، ومذهب الشافعي وأحمد: أنه ينتظر بها تمام العدة .

فإن كان الزوجان نصرانيين فأسلمت الزوجة: فمذهب مالك والشافعي وأحمد: الانتظار إلى تمام العدة، وكذا الوثني تسلم زوجته، فإنه إن أسلم في عدتها فهو أحق بها. ومن العلماء من قال: ينفسخ النكاح بينهما .

9- إذا ذهبت مسلمة مرتدة إلى الكفار من أهل العهد، يطالب الكفار بمهرها، وإذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة، يرد إلى الكفار مهرها، وهذا الحكم كان مخصوصا بزمان النبي ρ بعد صلح الحديبية .

10- إذا لم يدفع الكفار مهر مرتدة ذهبت إليهم، وجب تعويض زوجها من غنائم الحرب. وقال قتادة: هذا خاص في الكفار المعاهدين، ثم نسخ في سورة براءة. وقال قوم: هو ثابت الحكم إلى الآن .

11- حذر الله تعالى من مخالفة الأحكام السابقة، فقال في الآية **الأولى**: **{ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}** أي: فالزموه، وقال في **الآية الثانية: {وَاتَّقُوا اللَّهَ }** أي: احذروا أن تتعدوا ما أمرتم به [1] .

---

[1] التفسير المنير، للزحيلي (28/ 146- 149) .

المحاضـرة الثامنــة:
مبايعة النبي ρ للمؤمنات (من الآية 12 إلى الآيـة 13):

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ
ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ
ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ً **الممتحنة: ١٠ – ١٣ .**

أولا: سبب النزول:

قال ابن الجوزي ": قال المفسرون: لما فتح رسول الله ρ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية [1] .

ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما خاطب سبحانه المؤمنين الذي لهم موضع الذب والحماية والنصرة بما وطن به المؤمنات في دار الهجرة فوقع الامتحان وعرف الإيمان، أمر الله النبي ρ بعد الحكم بإيمانهن بمبايعتهن فقال **{ يا أيها النبي }** مخاطباً له بالوصف المقتضي للعلم، ودل على تحقق كون ما يخبر به من مجيئهن بأداة التحقيق علماً من أعلام النبوة فقال **{ إذا جاءك المؤمنات}**، فهذه الآية تكملة لامتحان النساء وبيان لتفصيل آثاره . فكأنه يقول **{فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلى الكفار}** وبَيِنُوا لهن شرائع الإسلام[2] .

ثالثا: غريب الألفاظ:

- **{يُبَايِعْنَكَ}** يُعَاهِدْنَكَ، أو قَاصِدَاتٍ لمُبَايَعَتِكَ عَلَى الإسلامِ [3] .
- **{بِبُهْتَانٍ}** أي: كذب يبهت سامعه لفظاعته [4] .
- { **يَفْتَرِينَهُ}** من الفرية وهو الاختلاق والكذب. والمعنى: بِأَنْ يُلْحِقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ أَوْلَادًا لَيْسُوا مِنْهُمْ .
- **{لَا تَتَوَلَّوْا}** لَا تَجْعَلُوهُمْ أَوْلِيَاءَ، وَأَخِلَّاءَ [5] .
- **{يئسوا}** من اليأس وهو انتفاء الطمع [6] .

رابعا: القراءات الواردة في الآيات:

- { النبي إذا } قرأ نافع بالهمز ويترتب على هذا اجتماع همزتين في كلمتين الأولى مضمومة والثانية مكسورة فيقرأ الأولى بالتحقيق وله في الثانية التسهيل بين بين والإبدال واوا خالصة، وقرأ الباقون وهم: ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وكذا روح وخلف بتحقيقهما [7] .

---

[1] زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (4/ 274) .
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (19/ 522) .
[3] تفسير غريب القرآن - الكواري (60/ 12) .
[4] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: 63) .
[5] السراج في بيان غريب القرآن، محمد الخضيري (ص: 340) .
[6] المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: 552) .
[7] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد الدمياطيّ (ص: 75) .

خامسا: إعراب الآيات:

- «**قَدْ**» حرف تحقيق «**يَئِسُوا**» ماض وفاعله والجملة حال «**مِنَ الْآخِرَةِ**» متعلقان بالفعل «**كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ**» كما متعلقان بصفة مفعول مطلق محذوف وماض وفاعله «مِنْ أَصْحابِ» متعلقان بالفعل[1] .

- **{ومن أصحاب القبور}** في إعرابها وجهان: **أحدهما: "من" لابتداء الغاية** والمعنى: أنهم لا يوقنون ببعث الموتى البتة فيأسهم من الآخرة كيأسهم من موتاهم لاعتقادهم عدم بعثهم، **والثاني:** أن **"من" لبيان الجنس** يعني أن الكفّار هم أصحاب القبور، فيكون متعلق الجار والمجرور بمحذوف حال ومتعلق يئس الثاني محذوفا، والمعنى: أن هؤلاء يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار حال كونهم من أصحاب القبور من خير الآخرة[2] .

سادسا: الجوانب البلاغية:

- **الكناية أو الاستعارة** في قوله تعالى " **وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ** "، فإن كان البهتان **بمعنى المكذوب** كان معنى افترائه بين أيديهن وأرجلهن كناية عن ادعاء الحمل بأن تشرب ما ينفخ بطنها فتوهم زوجها أنها حامل ثم تظهر الطلق وتأتي بولد تلتقطه وتنسبه إلى زوجها لئلا يطلقها، أو لئلا يرثه عصبته ، فهي تعظم بطنها وهو بين يديها ، ثم إذا وصل إبان إظهار الطلق وضعت الطفل بين رجليها وتحدثتْ وتحدث الناس بذلك فهو مبهوت عليه . فالافتراء هو ادعاؤها ذلك تأكيداً لمعنى البهتان .

وإن كان البهتان **مستعاراً للباطل** الشبيه بالخبرِ البهتاني، كان (بين أيديهن وأرجلهن) محتملاً للكناية عن تمكين المرأة نفسها من غير زوجها يقبلها أو يحبسها فذلك بين يديها، أو يزني بها وذلك بين رجليها [3] .

- **التشبيه**: في قوله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}** تشبيه إعراضهم بيأس الكفار من أصحاب القبور، **ووجهه شدة الإعراض وعدم التفكر في الأمر** ، شُبِّه إعراضهم عن العمل لنفع الآخرة بيأس الكفار من حياة الموتى والبعثِ وفيه تشنيع المشبه ، ومِن (أصحاب القبور) على هذا الوجه متعلق بـ (يئسوا)، ويجوز أن يكون (من أصحاب القبور) بياناً للكفار ، أي: الكفار الذين هلكوا ورأوا أن لا حظّ لهم في خير الآخرة فشبه إعراض اليهود عن الآخرة بيأس الكفار من نعيم الآخرة ، ووجه الشبه تحقق عدم الانتفاع بالآخرة ، والمعنى: كيأس الكفار الأمواتِ ، أي: يأساً من الآخرة، والمشبه به معلوم للمسلمين بالاعتقاد فالكلام من تشبيه المحسوس بالمعقول.

- **التأكيد**: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ"**، ومن المفسرين الأولين من حمل هذه الآية على معنى التأكيد لما في أول السورة من قوله : **(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)** فالقوم الذين

---

[1] إعراب القرآن للدعاس (3/ 335) .

[2] إعراب القرآن وبيانه، لمصطفى درويش (10/ 71) .

[3] التحرير والتنوير، لابن عاشور (28/ 167) .

غَضب الله عليهم هم المشركون فإنهم وُصفوا بالعدوّ لله، والعدوُّ مغضوب عليه، ونسب هذا إلى ابن عباس [1] .

سابعا: المعنى الإجمالي للآيات:

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ} قال الكلبي: لما فتح رسول الله ρ مكة غرم من الغنيمة للذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مهور نسائهم، جاءته نساء أهل مكة يبايعنه فأنزل الله هذه الآية ، وشرط في مبايعة النساء أن يأخذ عليهن هذا الشرط الذي ذكره في هذه الآية وهو قوله **{عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بالله شيء}** من الشرك، **(وَلا يَسْرِقْنَ)** قال ابن كثير: أي أموال الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج معسرا في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه، **{وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ}** يعني بالأولاد الذي كان يفعله الجاهلية، ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد **{ولا يزنين}** لما قررهن على أن لا يزنين ، قالت هند : يا رسول الله أتزني الحرة؟ فقال ρ "لا تزني الحرة" يعني في غالب المرأة ، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، **{وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ}** قال ابن عباس: يريد لا تلحق بزوجها ولدًا ليس منه، وقال الكلبي: هو أن تجيء بالصبي من غير زوجها فتقول لزوجها: هو منك وأنا ولدته، **{ولا يعصينك في معروف}** قال الكلبي: في معروف مما تأمرهن به وتنهاهن عنه كالنوح، وتمزيق الثياب، وجز الشعر، وشق الجيب، وأن تخلو بغير ذي محرم، وأن تسافر سفرًا مع غير ذي محرم. وعن أبي العالية **{فِي مَعْرُوفٍ}** قال: في كل أمر وافق طاعة الله فلم يرضى الله لنبيه أن يطاع في معصية الله **{فبايعهن واستغفر لهن الله}** فيما مضى من ذنوبهن وما قد يأتي {**إن الله غفور رحيم**} [2] .

قوله تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} يعني عامة الكفار أو اليهود. إذ روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم، والمعنى: لا تتولوهم بالنصرة والمحبة **{قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ}** أي: قد حرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب، فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم وكفرهم فتحرموا خير الآخرة كما حرموا، **{كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}** حين أفضوا إلى الدار الآخرة، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها. ويحتمل أن المعنى: قد يئسوا من الآخرة أي: قد أنكروها وكفروا بها، فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله وموجبات عذابه، و إياسهم من الآخرة كما يئس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى [3] .

ثامنا: الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات:

1- مشروعية أخذ البيعة لإمام المسلمين ووجوب الوفاء بها .

2 ـ تحريم الشرك بالله، والسرقة، والزنى، وقتل الأولاد، وعصيان شرع الله فيما أمر ونهى .

3 ـ وقد صرح في الآية بأركان النهي في الدين وهي ستة، ولم يذكر أركان الأمر، وهي ستة أيضا: الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والاغتسال من الجنابة، لأن النهي دائم في

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور (169/28 - 170) .

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (ص: 2375)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (9/ 211)، والتفسير البسيط، للواحدي (21/ 423) .

[3] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (5/ 207)، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 858) .

كل الأزمان وفي كل الأحوال، فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد وأهم وأخطر. ولم تقتصر البيعة على هذه الأمور على النساء فقط، وإنما بويع عليها وفد من الأنصار في بيعة العقبة الأولى، فأصبح الحكم عاما للرجال والنساء .

4 - بعد الحرة كل البعد من الزنا إذ قالت هند وهي تبايع أو تزني الحرة؟ قال "لا تزني الحرة" .

5 - حرمة مصافحة النساء لقوله ρ في البيعة "إني لا أصافح النساء" بل بايعهن بالكلام .

6 - أكدت الآية الثانية تحريم موالاة الكفار وتزويدهم بأخبار المسلمين، واتخاذهم أصدقاء وأخلاء، لأنهم لا يؤتمنون على مصالح المسلمين، بل يخونونهم ويفيدون من ذلك في قتالهم ومعاداتهم، ولأنهم قوم كفروا بالآخرة ويئسوا من ثوابها، كما يئس الكفار الأحياء من رجوع موتاهم أصحاب القبور إلى الدنيا[1] .

الباب الثاني: الحديث التحليلي:

ويحتوي على ثماني محاضرات:

المحاضرة الأولى: مقدمات نظرية في الحديث التحليلي .

المحاضرة الثانية: حديث " إنما الأعمال بالنيات " .

المحاضرة الثالثة: حديث "الإسلام والإيمان والإحسان" .

المحاضرة الرابعة: حديث "لا يؤمن أحدكم حتَّى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسه" .

المحاضرة الخامسة: حديث "لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشوا، ولا تَبَاغَضُوا،...".

المحاضرة السادسة: حديث "إن الحلال بين وإن الحرام بين ..."

المحاضرة السابعة: حديث "ما نَهَيتُكُمْ عَنْهُ، فاجْتَنِبوهُ، وما أمرتُكُم به، فأتُوا منهُ ما استطعتُم...".

المحاضرة الثامنة: الحديث القدسي: "يا عِبادي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلمَ على نَفسي، وجَعَلْتُهُ بَينَكُم مُحَرَّماً فلا تَظالموا...".

[1] ينظر: التفسير المنير، للزحيلي (28/ 156)، أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 334) .

المحاضرة الأولى: مقدمات نظرية في الحديث التحليلي:

أولا: تعريف الحديث التحليلي: مصطلح الحديث التحليلي تركب من جزئين هما:

الجزء الأول: وهو الحديث، وهو في اللّغة: الجديد: نقيضُ القديم، وهو أيضا: الخبر؛ قليله وكثيره[1] .

وورد لفظ "الحديث" **في القرآن 23 مرة**، بمعان متعدّدة منها: الخبر، ومنها: مطلق الكلام، قال تعالىُ ﴿ ئې ئې ئى ئى ﴾ النساء: ١٤٠ .

وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ρ قولًا أو فعلًا أو تقريرًا أو صفة[2]، وهو بهذا المعنى مرادف للخبر، وحكى ابن حجر قولا يفرّق بين المصطلحين؛ فقال:"وقيل: الحديثُ: ما جاء عن النبي ρ، والخبر: ما جاء عن غيره، ومِن ثَمَّةَ قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شَاكَلَهَا: "الإِخْبَارِي"، ولمن يشتغل بالسنَّة: "المحدِّث" [3] .

وأما الجزء الثاني وهو: التحليلي:

فهو لغة: من حَلَلَ: وأصله: فَتَح الشيء وفَكّه ونَقَضَه، قال ابن فارس: "الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يَشُذّ عنه شيء"[4] ، ومنه: حَلَلْتُ العقدة: فتحتها ونقضتها، وكُلّ جامد أذيب فقد حُلّ[5] .

واصطلاحا: (التحليل): تحليل الجملة هو بيان أجزائها ووظيفة كلّ منها [6] .

أما تعريف "الحديث التحليلي" كمصطلح مركب فهو:

أن يتعامل الشارح مع حديثٍ واحد يتم فيه تحليل السند وتحليل المتن، **أما تحليل السند** فيشتمل على: تخريج الحديث وبيان طرقه ورواياته والحكم عليه، وسبب وروده ونبذة مختصرة عن راوته .

وأما تحليل المتن: فيتضمن بيان غريب ألفاظ الحديث، وذكر النكت البلاغية والبيانية والإعرابية فيه، والمعنى العام له، وذكر الأحكام الشرعية المستنبطة من الحديث، مع ذكر الفوائد واللطائف العقدية والتربوية المستخرجة منه .

ثانيا: فائدته:

للحديث التحليلي فوائد كثيرة لا تحصى، كيف لا؟ وهو لبُّ علوم الحديث والمقصود منها، ومما يدل على ذلك أثر مصعب الزبيري ، قال:سمعت مالك بن أنس وقد قال لابني أخته؛ أبي بكر وإسماعيل ابني أبي أويس: "أراكما تحبان هذا الشَّأن، وتطلبانه" يعني "الحديث"، قالا: نعم،

---

[1] لسان العرب، لابن منظور (2/ 131) .

[2] قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للقاسمي (ص: 61) .

[3] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني (ص: 35) .

[4] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (2/ 20) .

[5] القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص: 986) .

[6] المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار (1/ 194) .

قال: "إن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما، فأقلَّا منه، وتفقَّها" [1] . وقال ابن الصلاح:" لا ينبغي لطالب الحديث : أن يقتصر على سماع الحديث وكَتبه دون معرفته وفهمه؛ فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل وبغير أن يحصل في عداد أهل الحديث، بل لم يزد على أن صار من المتشبهين المنقوصين المتحلين بما هم منه عاطلون"[2] .

ويمكن اختصار فوائد الحديث التحليلي فيما يلي:

1- معرفة درجة الحديث، وذلك من خلال الدراسة الإسنادية التي يكون الغرض منها معرفة درجة الحديث .

2- فقه الحديث، وذلك من خلال معرفة معاني غريب الألفاظ الواردة في الحديث، والمعنى الإجمالي له .

3- استنباط الفوائد المتنوعة (عقدية، سلوكية، عملية) .

4- إزالة المعاني المشكلة التي وردت في الحديث؛ وذلك من خلال بعض العبارات التي يخفى معناها، أو من خلال التعارض الذي قد يظهر بين بعض الأحاديث .

5- معرفة الناسخ من المنسوخ في الأحاديث النبوية وذلك بغرض العمل بها .

ثالثا: <u>الخطوات المتبعة في الحديث التحليلي</u>:

تختلف طريقة الحديث التحليلي بين الشراح توسعا واختصارا سواء في الخطوات المتبعة، أو في المادة العلمية التي يذكرونها في كلّ خطوة؛ فابن الملقن الشافعي في مقدمة شرحه لصحيح البخاري جعلها عشرة مباحث[3]، والدكتور: نزار ريان في شرحه لصحيح مسلم أوصلها إلى تسعة عشر مبحثا[4]؛ هذا من جهة الخطوات .

كذلك لو قارنا بين المادة العلمية التي يذكرها من سلك هذا المنهج في شرحه لأحاديث النبي ρ لوجدنا بينهم فرقا كبيرا، **فبعضهم يقصد التَّطويل والإسهاب والتَّوسع**، كما نجده في" التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لابن عبد البر، وشرح "الإلمام بأحاديث الأحكام" لابن دقيق ، و"جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم" لابن رجب، و"فتح الباري " لابن حجر العسقلاني، و"التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح " لابن الملقن، و "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار" للشَّوكاني، وغيرها .

ومنهم من قصد التَّوسط والاعتدال من غير تطويل أو اختصار، كما نراه في" إكمال المعلم بفوائد مسلم " للقاضي عياض، و"المنهاج في شرح مسلم بن الحجَّاج " للنَّووي، و"عون المعبود شرح سنن أبي داود "لمحمَّد شمس الحق العظيم آبادي، و"تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي " للمباركفوري، وغيرها .

---

[1] المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي (ص: 242) .

[2] مقدمة ابن الصلاح (ص: 143) .

[3] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (1/ 336) .

[4] ينظر: إمداد المنعم شرح صحيح الإمام مسلم .

ومنهم من قصد التَّعليق أو التَّحشية؛ كما نراه في" أعلام الحديث "للخطابي، و"المعلم بفوائد مسلم " للمازري، وحواشي السيوطي وتعليقاته على الكتب الستَّة، و"حاشية السندي على مسند أحمد" [1] .

ولكن يمكن القول بأن أهم المراحل التي ينبغي أن يمر عليها الشرح التحليلي للحديث هما مرحلتان؛ كلّ مرحلة تتضمن عدة خطوات وهي كما يلي:

أولا : مرحلة الدراسة الإسنادية، ويكون المقصود منها:

1 - تخريج الحديث تخريجا فنيا، وعلميا، مع التنبيه إلى أهم الفوائد الإسنادية .

2 - ضبط متن الحديث، أو تحقيق الرواية التامة للحديث .

3 - بيان سبب ورود الحديث – إن وُجِد- ، وما أحاط برواية الحديث من ملابسات .

4 - بيان درجة الحديث صحّةً وضعفا، وهي المقصد الأهمّ من الدراسة الإسنادية .

ثانيا : مرحلة الدّراسةُ الْمَتْنيةَ : ويكون العمل في تحليل متن الحديث وفق خطوات علمية، أهمّها:

5 - ترجمة موجزة لراوة الحديث .

6 - شرح مفردات الحديث، أو شرح غريب الحديث: وما قد يُشْكِل من ألفاظه .

7 - بيان المعنى الإجمالي للحديث والفكرة الأساس التي يتحدث عنها .

8 - شرح جمل الحديث وتحليلها وبيان معانيه وما يستنبط منه من فوائد العلمية، وأحكام عملية، ومواعظ إيمانية وأخلاقية، وشذرات من الفنون البلاغية .

9 - بيان الفوائد التي حواها الحديث من الهدايات النبوية؛ التربوية، والنفسية، والاجتماعية .

والطالب في كل هذا يستعين بالمصادر والمراجع التي عنيت بالحديث النبوي؛ تصنيفا، وتخريجا، وشرحا [2] .

رابعا: <u>مصادر الحديث التحليلي</u>:

إن المصادر التي يمكن أن نستفيد منها في الحديث التحليلي كثيرة جدا؛ وذلك أن كل كتاب فيه شرح لأحاديث النبي ρ يمكن أن نستفيد منه، وهذا النوع من التصانيف كثير جدا حتى قال ابن حجر:" فإنَّ فقه الحديث وغريبه لا يحصى كم صنف في ذلك، بل لو ادَّعى مدَّع أنَّ التصانيف التي جمعت في ذلك أجمع من التَّصانيف التي جمعت في تمييز الرجال، وكذا في تمييز الصَّحيح من السَّقيم لما أبعد، بل ذلك هو الواقع"[3]. **وحتى الكتب** التي لم تؤلف في شرح السنة يمكن أن نستفيد منها في الحديث التحليلي ككتب:معاجم اللغة أو التاريخ أو الأحكام وغيرها.

ولنذكر ههنا مجموعة من المصادر التي يمكن أن يستفاد منها في الحديث التحليلي سواء في الدراسة الإسنادية أو المتنية للحديث مرتبة على حسب الفن الذي صنفت فيه وهي:

1 - <u>التخريج</u>:

---

[1] علم شرح الحديث دراسة تأصيلية، لبسام بن خليل الصفدي، جامعة غزة 2015 (33-32) .

[2] مذكرة د: صالح عومار (ص: 2-3) في الحديث التحليلي لطلبة السنة الثانية، موسم: 2014/2013 .

[3] النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر (1/ 230) .

وهو: الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده، ثم بيان مرتبته .

وأشهر طرق التخريج خمسة وهي:

الطريقة الأولى: التخريج عن طريق معرفة راوي الحديث من الصحابة، **ويستعان في هذه الطريقة** بكتب منها:

1 - "المسانيد" مثل: مسند الإمام أحمد .

2 - "المعاجم" مثل: المعجم الكبير للطبراني .

3 - "كتب الأطراف" مثل: "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف" للمزي .

الطريقة الثانية: التخريج عن طريق معرفة أول لفظ من متن الحديث. **ويستعان في هذه الطريقة** ببعض المصنفات منها:1 - الكتب المصنفة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، مثل "اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة" للزركشي .

2 - الكتب التي رتبت الأحاديث فيها على ترتيب حروف المعجم ، مثل "الجامع الصغير من حديث البشير النذير" للسيوطي .

3 - المفاتيح و الفهارس التي صنفها العلماء لكتب مخصوصة ، مثل "مفتاح الصحيحين" للتوقادي .

الطريقة الثالثة : التخريج عن طريق معرفة كلمة يقل دورانها على الألسنة من أي جزء من متن الحديث.

ويستعان في هذه الطريقة بكتب منها: كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي"، وهو معجم مفهرس لألفاظ الأحاديث الموجودة في تسعة مصادر هي: الكتب الستة و موطأ مالك و مسند أحمد و مسند الدرامي، ألفه جماعة من المستشرقين، وترجمه وهذبه: محمد فؤاد عبد الباقي .

الطريقة الرابعة : التخريج عن طريق معرفة موضوع الحديث . **ويستعان في تخريج الحديث على هذه الطريقة** بالمصنفات الحديثية المرتبة على الأبواب والموضوعات ومنها:

1 -المصنفات التي شملت موضوعاتها جميع أبواب الدين، مثل: "الجوامع" و"المستخرجات" و"المستدركات".

2 -المصنفات التي شملت أبوابها و موضوعاتها أكثر أبواب الدين، مثل "السنن" و"الموطآت" .

3 -المصنفات المختصة بباب من أبواب الدين، مثل "الأجزاء" و"الترغيب و الترهيب" .

الطريقة الخامسة : التخريج عن طريق النظر في حال الحديث متناً و سنداً، كـ (المسلسل) (القدسي) (المتواتر) . **ويستعان في تخريج الحديث على هذه الطريقة** بالرجوع إلى المصنفات التي أفردت لجمع الأحاديث التي فيها تلك الصفة في المتن أو السند، كالرجوع إلى كتب الصحيح أو الموضوع أو غيرها .

<u>ومن أشهر الكتب التي اعتنت بتخريج الأحاديث الواردة في بعض الكتب والحكم عليها:</u>

1- كتابي الزيلعي (762هـ) "نصب الراية لأحاديث الهداية" للمرغيناني،و"تخريج أحاديث الكشاف" للزمخشري.

2- كتاب ابن الملقن (804هـ) "البدر المنير في تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في الشرح الكبير" ، للرافعي، و اختصره الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير في تخريج أحاديث شرح الوجيز الكبير" .
3- كتاب العراقي (806هـ) "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" .
4- الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، للحافظ ابن حجر .
5- كتب الشيخ الألباني كلها (السلسلتين الصحيحة والضعيفة، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، تخريجه لأحاديث سنن أبي داود و غيرها) .
6 – كما يمكن الاستعانة في تخريج الحديث بالبرامج الحديثة، مثل برنامج "موسوعة الحديث الشريف" و "مكتبة الحديث الشريف" وغيرها [1] .
2 – <u>تراجم رواة الحديث</u>: ويستعان فيها بكتب الجرح والتعديل والتي من أهمها:
أولاً : تراجم الصحابة والتابعين:
1- "الطبقات الكبير" (الكبرى) لابن سعد .
2- "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر .
3- "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير .
4- "الإصابة في معرفة الصحابة" لابن حجر .
5- "معرفة التابعين" لأبي المطرف الأندلسي .
6- "جنة الناظرين في معرفة التابعين" لابن النجار البغدادي .
ثانيا: تراجم المحدثين والرواة:
1- "الضعفاء الصغير" و"التاريخ الكبير" و"الأوسط" للبخاري .
2- "تهذيب الكمال" للمزي .
3- "تهذيب التهذيب" و "تقريب التهذيب" لابن حجر .
4- "الجرح والتعديل" للرازي .
5- "تذكرة الحفاظ" و "ميزان الاعتدال" و "لسان الميزان" للذهبي .
6- "معرفة الثقات" للعجلي، و "كتاب الثقات" لابن حبان .
7- "الضعفاء الكبير" للعقيلي.
3 - <u>غريب الحديث</u>: هناك عدة كتب عنوانها "غريب الحديث" يستفاد منها في هي هذه المسألة من أهمها:
"غريب الحديث" للقاسم بن سلام الهروي، و ابن قتيبة، و الخطابي، و الزمخشري، وابن الأثير .
4– **<u>كتب في مشكل الحديث</u>**: ومنها:

[1] من مقال منشور في ملتقى أهل الحديث، وينظر للاستزادة: كتاب "علم التخريج ودوره في خدمة السنة النبوية" لعبد الغفور البوشلي (ص: 93)، وعلم التخريج ودوره في حفظ السنة النبوية، محمد محمود بكار (ص: 46) .

1- شرح مشكل الآثار " للطحاوي .
2- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة أبو محمد الدينوري .
3- كشف المشكل من حديث الصحيحين: عبد الرحمن ابن الجوزي .
4- مشكل الحديث وبيانه: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني سنة الوفاة 406هـ .
5- إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي: أبو البقاء العكبري الحنبلي .

5 - (الفوائد الإسنادية، وسبب الورود، والتبوييات، والمعانى الإجمالية والفوائد: كلّها من كتب شروح السنة وهى تختلف توسعا واختصارا): ومن أهم المؤلفات في ذلك:

1 - **شروح صحيح البخاري**: من أهمها:
- "الكواكب الدرارى في شرح صحيح البخاري" لشمس الدين الكرماني (786هـ) .
- "شرح صحيح البخاري" لابن بطال .
- "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" لبدر الدين العيني .
- "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني .

2 - شروح صحيح مسلم: من أهمها:
-" المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبيُّ .
- "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي .
- "الديباج على مسلم" لجلال الدين السيوطي .

3- شروح سنن الترمذي: من أهمها:
- "العرف الشذى شرح سنن الترمذي" لمحمد أنور شاه الكشميري .
- "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي" لمحمد عبد الرحمن المباركفوري .

4- شروح كتاب سنن أبي داود: من أهمها:
- "معالم السنن" لأبي سليمان الخطابي (ت 338هـ) .
- "تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإيضاحِ مُشكِلاتِهِ" لابن قيّم الجوزية .
- "شرح سنن أبي داود" لعبد المحسن العباد .
- "عون المعبود شرح سنن أبي داود" لمحمد شمس الحق العظيم آبادي .
- "بذل المجهود في حل سنن أبي داود" لعلي السهارنفوري (ت 1346هـ) .

5- شروح كتاب سنن النسائي: من أهمها:
- "حاشية السندي على النسائي" لنور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي .
- "ذخيرة العقبى في شرح المجتبى" لمحمد بن علي بن آدم الأثيوبي .

6 - شروح كتاب ابن ماجه: من أهمها:
- "شرح سنن ابن ماجه - الإعلام بسنته عليه السلام-" علاء الدين مغلطاي (762هـ) .
- "مصباح الزجاجة" لصفاء الضوي أحمد العدوي .

7 - شروح موطأ مالك: من أهمها:
- "شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك" الزرقاني .

- "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" و" الاستذكار في شرح مذاهب أهل الأمصار" لابن عبد البر .
- "المنتقى شرح الموطأ" لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي(474 هـ) .

ومن الشروح المهمة التي يستفاد منها في الحديث التحليلي إضافة إلى ما سبق :

1- "فيض القدير شرح الجامع الصغير" لعبد الرؤوف المناوي (ت 1031هـ) .
2 – "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لمحمد علي علان الصديقي (1057هـ) .
3 - "سبل السلام" لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (1182هـ) .
4- "بيان معاني الآثار" للطحاوي .
5- "شرح السنة" للبغوى .
6- "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" لمحمد بن علي الشوكاني .
7- "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" للقاضي عياض .
8- "بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار"، عبد الرحمن السعدي (1376ه).
9- "تيسير العلام شرح عمدة الأحكام" لعبد الله البسام (1423هـ) .
10- "جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم" لابن رجب الحنبلي (795هـ)[1] .

[1] بحث للطالب: محمد يوسف الشرافي، بعنوان كتب الشروح الحديثية، تحت إشراف د: نعيم الصفدي، نشر في ملتقى أهل الحديث .

المحاضرة الثانية: حديث " إنما الأعمال بالنيات "

أولا: نص الحديث: قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول سمعت عمر بن الخطاب τ على المنبر قال: سمعت رسول الله ρ يقول "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" .

ثانيا: تخريج الحديث:

أ- رواه **البخاري** في سبعة مواضع، كتاب: بَدْءُ الوَحْيِ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ρ، رقم: 1، وكتاب: الإيمان، بَابٌ: مَا جَاءَ إِنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالحِسْبَةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،رقم:54، وكتاب العتق، بَابُ: الخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ فِي العَتَاقَةِ وَالطَّلاَقِ وَنَحْوِهِ وَلاَ عَتَاقَةَ إِلَّا لِوَجْهِ اللَّهِ،رقم:2529، وكتاب: مناقب الأنصار، بَابُ: هِجْرَةِ النَّبِيِّ ρ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ،رقم:3898، وكتاب النكاح، بَابُ: مَنْ هَاجَرَ أَوْ عَمِلَ خَيْرًا لِتَزْوِيجِ امْرَأَةٍ فَلَهُ مَا نَوَى،رقم:5070، وكتاب: الأيمان والنذور، بَابُ النِّيَّةِ فِي الأَيْمَانِ، رقم: 6689، وكتاب: الحيل، باب فِى تَرْكِ الْحِيَلِ وَأَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فِى الأَيْمَانِ وَغَيْرِهَا، رقم:6953.

ب- ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب قوله ρ «إنما الأعمال بالنية» ، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال،رقم:1907 .

ج- وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطلاق، بَابٌ فِيمَا عُنِيَ بِهِ الطَّلَاقُ وَالنِّيَّاتُ،رقم:2201 .

د- والترمذي في سننه، كتاب: فضائل الجهاد، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يُقَاتِلُ رِيَاءً وَلِلدُّنْيَا،رقم:1647.

هـ- والنسائي في سننه،كتاب: الطهارة، بَابُ النِّيَةِ فِي الْوُضُوءِ،رقم:75، وكتاب: الطلاق، بَابُ: الْكَلَامِ إِذَا قُصِدَ بِهِ فِيمَا يَحْتَمِلُ مَعْنَاهُ،رقم:3437، وكتاب: الأيمان والنذور، بَابُ: النِّيَّةُ فِي الْيَمِينِ،رقم:3794.

و- وابن ماجه في السنن،، كتاب الزهد، بَابُ النِّيَّةِ،رقم:4227 .

ز- وأحمد في المسند، مسند عمر بن الخطاب، برقم: 168،(ج1/ ص236) .

ح- **وابن حبان** في صحيحه، بَابُ الْإِخْلَاصِ وَأَعْمَالِ السِّرِّ، رقم:388، وباب: ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ كُلَّ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمُصْطَفَى ρ وَمنْ قَصْدِهِ نَوَالُ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ، رقم:4868 .

فائدة في تخريج الحديث: بالرغم من شهرة هذا الحديث وذيوعه واتفاق الأئمة على صحته وكثرة من خرجه وذكره، إلا إن الإمام مالكا-رحمه الله - لم يذكره أو يخرجه في موطأه[1]، قال

[1] ومن العلماء من أثبت أن مالكا أخرجه في موطئه من رواية محمد بن الحسن الشيباني، وهي ليست مشهورة لذلك قيل: لم يروه في الموطأ .

الحافظ ابن حجر :" ثم إن هذا الحديث متفق على صحته أخرجه الأئمة المشهورون إلا الموطأ، ووهم من زعم أنه في الموطأ)[1] .

ولكن مالكا روى الحديث كما في رواية للبخاري، قال:حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ...

شجرة الإسناد:

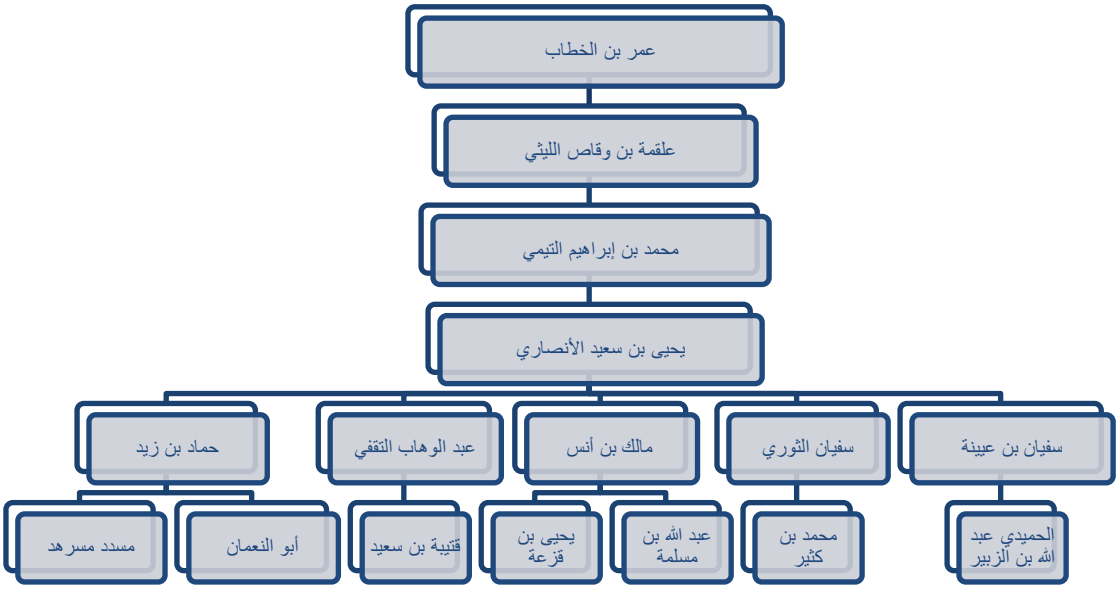

ثالثا: ترجمة الرواة[2]:

أ- يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري مدني تابعي ثقة، وكان له فقه، ولي القضاء وكان رجلا صالحا، سمع من أنس بن مالك، قال ابن سعد :" وَكَانَ ثِقَةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ حجة ثبتاً، وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ "[3] .

ب- مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ: المدني، سَمِعَ من علقمة بْن وقاص وأبا سلمة، سَمِعَ منه: يَحْيَى بْن سَعِيد الْأَنْصَارِيّ ومحمد ابن إِسْحَاق، كَانَ جده الْحَرْث بن صَخْر من الْمُهَاجِرين وَهُوَ ابْن عَم أبي بكر الصّديقτ، قال العجلي "ثقة"، وقال ابن حجر:"قال أحمد بن حنبل: في حديثه: سيء يروي مناكير، أو قال: أحاديثه منكرة، قلت: وثقة الناس واحتج به الشيخان وقفز القنطرة"، توفي سنة عشْرين وَمِائَة[4] .

ج- عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ : علقمة بن وقاص الليثي العتواري المدني، ثقة نبيل، **حدث عن** عمر وعائشة وابن عباس تم، **وحدث عنه**: ابناه عمرو وعبد الله والزهري ومحمد بن إبراهيم

---

[1] فتح الباري، لابن حجر (1/ 11) .

[2] وقد اقتصرت في هذه المذكرة على الترجمة للرواة من الصحابة والتابعين فقط .

[3] ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد - متمم التابعين - (ص: 337)، والثقات للعجلي (2/ 352) .

[4] ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (1/ 22)، والثقات للعجلي (2/ 232)، والوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي (1/ 254)، ولسان الميزان، لابن منظور (5/ 20) .

التيمي، عده الذهبي في الطَّبَقَة الأولى من التابعين وَهم أكَابِرهم، مات بعد الثمانين رحمه الله تعالى[1] .

د- عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ τ: عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي، كان عند المبعث شديدا على المسلمين، ثم أسلم، فكان إسلامه فتحا على المسلمين وفرجا لهم من الضيق، حتى قال عبد اللَّه بن مسعود: "وما عبدنا اللَّه جهرة حتى أسلم عمر"، وهذا استجابة من الله لدعوة نبيه ρ حينما قال: «اللَّهمّ أعزّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطّاب» . ومما جاء في **فضائله**: حديث ابن عمر من قوله ρ: " بينا أنا نائم أتيت بقدح لبنٍ، فشربت حتى رأيت الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر"، قالوا: فما أولت يا رسول الله ذلك؟ قال: " العلم ". **وهو أول من لقب** "أمير المؤمنين" وقصة ذلك أن عمر لما ولي قال: "كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله ρ فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله يطول هذا، فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا، ونحن المؤمنون، فأنت أمير المؤمنين، قال: فذاك إذن" . استمرت خلافتهτ عشر سنين ونصفاً، حتى **قتله** أبو لؤلؤة المجوسي يوم الأربعاء من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين [2] .

رابعا: الفوائد الإسنادية:

1 - هو حديث فرد قد تفرد بروايته يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر τ، ومع ذلك أطلق بعضهم عليه اسم التواتر وبعضهم اسم الشهرة؛ المراد بذلك الاشتهار أو التواتر في آخر السند من عند يحيى بن سعيد، كما قال النووي: لأنه رواه عن يحيى بن سعيد أكثر من مائتي إنسان أكثرهم أئمة، وقال أبو موسى المديني أنه رواه عن يحيى بن سعيد سبعمائة رجل [3].

2 - أن البخاري رحمه الله تعالى لما رأى أن النبي ρ قد أمر بتقديم قريش فقال "قدموا قريشا ولا تَقْدُموها" جعل روايته لأول حديث في صحيحه عن شيخ قرشي وهو عبد الله بن الزبير الحميدي القرشي .

3 - أن عبد الله بن الزبير مكي أيضا والحديث في بدء الوحي وقد كان في مكة، فرأى رحمه الله تعالى أن يقدم روايته وهو مكي لتناسب مكان بدء الوحي .

4 - أن الإسناد فيه ثلاثة تابعين على نسق فيحيى من صغار التابعين وشيخه محمد بن إبراهيم التيمي من أوساط التابعين وشيخه محمد بن علقمة الليثي من كبارهم، ففي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق[4] .

خامسا: منزلة الحديث عند العلماء:

---

[1] ينظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي (20/ 47)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي (1/ 43)، وطبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي (1/ 110) .

[2] ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (1/ 356 ومابعدها)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (4/ 484) .

[3] طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي (2/ 5) .

[4] شرح أحاديث من صحح البخاري شرحا تحليليا، لطارق محمد الطواري (ص: 3-4) .

- قال الإمام أحمد قال: "أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات» وحديث عائشة: «من أحدث في أمرنا هذا ...» وحديث النعمان بن بشير: «الحلال بين والحرام بين...» [1] .

- قال عبد الرحمن ابن مهدي: "ينبغي لكل من صنف كتاباً أن يبتدئ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية. وممّن ابتدأ به في أول كتابه: الإمام أبو عبد الله البخاري" .

- قال ابن دقيق:"هذا حديث صحيح متفق على صحته وعظيم موقعه وجلالته وكثرة فوائده"[2] .

- قال العراقي :"هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل فيه: إنه ثلث العلم، وقيل ربعه، وقيل خمسه، وقال الشافعي وأحمد إنه ثلث العلم"[3] .

سادسا: سبب ورود الحديث:

اشتهر في الشروح الحديثيّة أن الحديث سِيق بسبب رجل أراد التزوج من امرأة يقال لها: أم قيس، فهاجر من أجل ذلك، فكان يقال له: مهاجر أم قيس .

وقد أنكر ذلك الحافظ ابن رجب وغيره من العلماء، فقال: "وقد اشتهر أن قصة (مهاجر أم قيس) كانت سبب قول النبي ρ (من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها)، وذكر ذلك كثير من المتأخرين في كتبهم، ولم نرَ لذلك أصلًا بإسناد يصح والله أعلم" [4] .

سابعا: غريب الحديث:

- **(النِّيَّةِ)** : النِّيَّة قصد الْقلب[5] .

- **(هجرته)** الهِجْرة فِي الأصْل: الاسْم مِنَ الْهَجْرِ، ضِدّ الوَصْلِ. وَقَدْ هَجَرَهُ هَجْراً وهِجْرَاناً، ثُم غَلَب عَلَى الخُرُوج مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، وتَركِ الْأُولَى للثَّانية. يُقال مِنْهُ: هَاجَرَ مُهَاجَرَةً [6] .

- **(ينكحها)** : النكاح: الوطئ، والتزويج، وقيل: هو العقد له وهو التَّزويج لأَنّه سببٌ للوَطءِ المباحِ[7] .

ثامنا: شرح الحديث:

قوله ρ {إنما الأعمال بالنيات}؛ لفظة **"إنما"** للحصر: تثبت المذكور وتنفي ما عداه، والمعنى: إنما الأعمال صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة بالنيات، فيكون خبرا عن حكم الأعمال الشرعية فلا تصح ولا تحصل إلا بالنية، قال الخطابي: معناه: أن صحة الأعمال ووجوب أحكامها إنما يكون بالنية؛ فإن النية هي المصرفة لها إلى جهاتها، ولفظة **"الأعمال"** قال العراقي: هي أعمال الجوارح كلها حتى تدخل في ذلك الأقوال؛ فإنها عمل اللسان، وهو من الجوارح[8] . **وقال ابن القيم** -رحمه الله-: تداخل العبادات في العبادة الواحدة هو باب عزيزٌ

---

[1] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 61) .

[2] شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص: 24-25) .

[3] طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراق (2/ 5) .

[4] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 74) .

[5] غريب الحديث، لابن الجوزي (2/ 443) .

[6] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (5/ 244) .

[7] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، باب الحاء فصل النون مادة (نكح) (1/ 413)، وتاج العروس، للزبيدي، فصل الفاء مع الحاء المهملة (ص: 1783) .

[8] ينظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 25)، وطرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين العراقي (2/ 7) .

شريف، لا يعرفه إلا صادق، حاذق الطلب، متضلع من العلم، عالي الهمة، بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء [1] . **وقال ابن رجب** - رحمه الله -: وأما النية بالمعنى الذي ذكره الفقهاء، وهو تمييز العبادات عن العادات، وتمييز العبادات بعضها عن بعض، فإن الإمساك عن الأكل والشرب يقع تارة حمية، وتارة لعدم القدرة، وتارة تركًا للشهوات لله عز وجل، فيحتاج في الصيام إلى النية . وكذلك العبادات: كالصلاة والصيام، منها نفل، ومنها فرض. وكذلك الصدقة: تكون نفلًا، وتكون فرضًا[2].

قوله ρ «وإنما لكل امرئ ما نوى» إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرا حصل له خير، وإن نوى به شرا حصل له شر، **وليس هذا تكريرا محضا للجملة الأولى،** فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية **المقتضية لإيجاده،** والجملة الثانية دلت على أن **ثواب العامل** على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون نيته مباحة، فيكون العمل مباحا، فلا يحصل له ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه، المقتضية لوجوده، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب النية التي بها صار العمل صالحا، أو فاسدا، أو مباحا [3] .

قوله ρ (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) لما ذكر ρ أن الأعمال بحسب النيات، وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر، وهاتان كلمتان جامعتان، وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيء، ذكر بعد ذلك مثالا من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات، وكأنه يقول سائر الأعمال على حذو هذا المثال .

وأصل الهجرة: هجران بلد الشرك، والانتقال منه إلى دار الإسلام، فأخبر ρ أن هذه الهجرة تختلف باختلاف النيات والمقاصد بها، فمن هاجر إلى دار الإسلام حبا لله ورسوله، ورغبة في تعلم دين الإسلام، وإظهار دينه حيث كان يعجز عنه في دار الشرك، فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقا، وكفاه شرفا وفخرا أنه حصل له ما نواه من هجرته إلى الله ورسوله، ولهذا المعنى اقتصر في جواب هذا الشرط على إعادته بلفظه؛ لأن حصول ما نواه بهجرته نهاية المطلوب في الدنيا والآخرة. ومن كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام لطلب دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها في دار الإسلام، فهجرته إلى ما هاجر إليه من ذلك، فالأول تاجر، والثاني خاطب، وليس واحد منهما بمهاجر .

قال العراقي:" وقع هنا الشرط، والجزاء متحدين في الجملتين في قوله: **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله،** وكذا في الجملة الثانية، والقاعدة عند أهل العربية أن الشرط، والجزاء، والمبتدأ، والخبر لا بد أن يكونا متغايرين. والجواب: أن التغاير في الحديث

---

[1] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن القيم (ص: 158) .

[2] جامع العلوم والحكم ، لابن رجب (1/ 85) .

[3] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 65) .

مقدر وتقديره فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته إلى الله ورسوله ثوابا وأجرا أو نحو ذلك من التقدير والله أعلم" [1] .

وفي قوله ρ "إلى ما هاجر إليه" تحقير لما طلبه من أمر الدنيا، واستهانة به، حيث لم يذكر بلفظه. وأيضا فالهجرة إلى الله ورسوله واحدة فلا تعدد فيها، فلذلك أعاد الجواب فيها بلفظ الشرط. والهجرة لأمور الدنيا لا تنحصر، فقد يهاجر الإنسان لطلب دنيا مباحة تارة، ومحرمة تارة، وأفراد ما يقصد بالهجرة من أمور الدنيا لا تنحصر، فلذلك قال: «فهجرته إلى ما هاجر إليه،» يعني كائنا ما كان. وقد روي «عن ابن عباس τ في قوله تعالى: ﴿ □ □ ﴾ الممتحنة: ١٠ قال: كانت المرأة إذا أتت النبي ρ حلفها بالله: ما خرجت من بغض زوج، وبالله: ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، وبالله: ما خرجت التماس دنيا، وبالله: ما خرجت إلا حبا لله ورسوله"، وقد «سئل النبي ρ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصد به من الرياء، وإظهار الشجاعة والعصبية، وغير ذلك: أي ذلك في سبيل الله؟ فأجاب بجواب جامع كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري τ «أن أعرابيا أتى النبي ρ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ρ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله» فخرج بهذا كل ما سألوا عنه من المقاصد الدنيوية [2] .

تاسعا: الفوائد المستنبطة من الحديث:

1 - النية محلها القلب، واللفظ بها بدعة .

2 - أن مدار الأعمال على النيات؛ صحة وفسادًا، وكمالًا ونقصًا .

3 - في الحديث إشارة إلى أن من أراد الغنيمة صحح العزيمة، ومن أراد المواهب السَّنِية أخلص النية .

4 - فيه قاعدة " الأمور بمقاصدها" .

5 - الفرق بين العبادة والعادة هو النية .

6 - لم يقل في الجزاء **"فهجرته إليهما"**، مع اختصاره، وذلك من آدابه ρ في تعظيم اسم الله أن يجمع مع ضمير غيره، كما قال للخطيب "بئس خطيب القوم أنت"، حين قال "من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى" وبين له وجه الإنكار فقال له قل: (ومن يعص الله ورسوله) .

7 - ما فائدة التنصيص على المرأة مع كونها داخلة في مسمى الدنيا؟ أجاب النووي بأجوبة: **أحدها**: أنه لا يلزم دخولها في هذه الصيغة؛ لأن لفظة دنيا نكرة، وهي لا تعم في الإثبات فلا يلزم دخول المرأة فيها.**والثاني**: أنه للتنبيه على زيادة التحذير. **والثالث**: أنه جاء أن سبب هذا الحديث مهاجر أم قيس .

8- تطلق النية في كلام العلماء على معنيين:

- **نية المعمول له**: أي تمييز المقصود بالعمل هل هو الله وحده، أم غيره، أم الله وغيره، وهذا

---

[1] طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين العراقي (2/ 24) .

[2] جامع العلوم والحكم ، لابن رجب (1/ 74-72) .

المعنى يتكلم فيه العارفون في كتبهم من أهل السلوك الذين يعتنون بالمقاصد والرقائق و الإيمانيات .

وهو المقصود غالبا في كلام الله بلفظ النية والإرادة قال تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)، وكذلك هو المقصود غالبا في السنة قال رسول الله ρ (من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالا فله مانوى) رواه أحمد ، وهذا كثير في كلام السلف قال عمر "لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له "، وقال سفيان الثوري"ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي لأنها تتقلب علي" .

- **نية العمل:** وهو على جهتين: **الأولى**: تمييز الأعمال فيما بينها ، فلا تصح الطهارة بأنواعها ولا الصلاة والزكاة والصوم والحج وجميع العبادات إلا بقصدها ونيتها، فينوي تلك العبادة المعينة، وإذا كانت العبادة تحتوي على أجناس وأنواع كالصلاة منها الفرض والنفل المعين والنفل المطلق ، فالمطلق منه يكفي فيه أن ينوي الصلاة ،وأما المعين من فرض ونفل فلا بد مع نية الصلاة أن ينوي ذلك المعين وهكذا بقية العبادات .

والثانية: تمييز العبادة عن العادة ،فمثلا الاغتسال يقع نظافة أو تبردا ويقع عن الحدث الأكبر وعن غسل الميت وللجمعة ونحوها، فلا بد أن ينوي فيه رفع الحدث أو ذلك الغسل المستحب، وكذلك يخرج الإنسان الدراهم مثلا للزكاة أو الكفارة أو للنذر أو للصدقة المستحبة أو للهدية فالعبرة في ذلك كله على النية .

9 - ينقسم العمل بالنسبة للرياء من حيث حكمه إلى ثلاثة أقسام:

- أن يكون أصل العمل رياء خالصا بحيث لا يراد به إلا مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم قال تعالى ﴿ بى بي تر □ □ تن تى تي ﴾ النساء: ١٤٢، وهذا الرياء الخالص لا يصدر من مؤمن حقا، وهذا العمل حابط وصاحبه مستحق للمقت والعقوبة .

- أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء في أصله؛ فالنصوص الصريحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضا ،ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبيρ قال "يقول الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"، ولا يعرف عن السلف في هذا القسم خلاف بينهم .

- أن يكون أصل العمل لله ثم يطرأ عليه نية الرياء؛ فإن كان خاطرا ودفعه فلا يضره بغير خلاف، وإن استجاب له فهل يحبط عمله أم لا؟ الصحيح أن أصل عمله لا يبطل بهذا الرياء وأنه يجازى بنيته الأولى ورجحه أحمد والطبري، وإنما يبطل من عمله ما خالطه الرياء .

أما إذا خالط نية العمل نية غير الرياء مثل أخذ الأجرة للخدمة أو شيء من المعاوضة في الجهاد أو التجارة في الحج؛ نقص بذلك الأجر ولم يبطل العمل، قال أحمد : التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره .

10 - ليس من الرياء فرح المؤمن بفضل الله ورحمته حين سماع ثناء الناس على عمله الصالح، فإذا استبشر بذلك لم يضره لما روى أبو ذرτ عن النبي ρ "أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن "رواه مسلم .

11 - تتفاضل الأعمال ويعظم ثوابها بحسب ما يقوم بقلب العامل من الإخلاص، حتى إن صاحب النية الصادقة إذا عجز عن العمل يلتحق بالعامل في الأجر، قال تعالى: ﭐﱡ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ ﲢ ﲣ ﲤ ﱠ النساء: ١٠٠، وفي الصحيح "إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما" وفيه أيضا "إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر" .

12- وإذا هم العبد بالخير ثم لم يقدر له العمل كتبت همته ونيته حسنة كاملة، ففي النسائي أن رسول الله ρ قال"من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم ويصلي من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه" .

13 - تجري النية في المباحات والأمور الدنيوية ،فمن نوى بكسبه وعمله الدنيوي الاستعانة بذلك على القيام بحق الله وحقوق الخلق واستصحب هذه النية الصالحة في أكله وشربه ونومه وجماعه انقلبت العادات في حقه إلى عبادات، ومن فاتته هذه النية لجهله أو تهاونه فقد حرم خيرا عظيما ففي الصحيح عنه ρ أنه قال لسعد بن أبي وقاص "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك،" وقال ابن القيم "إن خواص المقربين هم الذين انقلبت المباحات في حقهم إلى طاعات وقربات بالنية فليس في حقهم مباح متساوي الطرفين بل كل أعمالهم راجحة" .

14 - الهجرة في سبيل الله من أجل الطاعات وأعظم القربات، وهذه الشعيرة باقية إلى قيام الساعة، وتنقسم الهجرة باعتبار حكمها إلى قسمين:

أ- هجرة واجبة وهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام قال الله تعالىﱡﭐ ﱣ □ □ ﱤ
ﱥ ﱦ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □
□□ □ ﱿ ﱠ النساء: ٩٧، وتسقط الهجرة عن العاجز عنها قال تعالىﱡﭐ □ ﲀ □ □ ﲁ
□ □ □ □ □ □ □ □ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ □ ﱠ النساء: ٩٨ - ٩٩

ب- هجرة مستحبة وهي الانتقال من بلد البدعة إلى بلد السنة ومن المعصية إلى الطاعة .

فائدة: تجوز الإقامة في بلد الكفر على الصحيح من أقوال أهل العلم بشروط:

1- أن يكون قادرا على إظهار شعائر الدين، وبيان بطلان عقيدة الكفار . 2- أن يأمن الفتنة على دينه . 3- أن يأمن الفساد على أهله وولده، فإن خشي ذلك وغلب على ظنه فلا يجوز .

ومع ذلك فإن الأحوط للمؤمن عدم الإقامة في بلد الكفر إلا أن تكون المصلحة راجحة في بقائه كاشتغاله بالدعوة والتعليم وله كلمة وتأثير في الناس .

ولا يجوز مطلقا الإقامة في بلد الكفر مع انتفاء الشروط أو بعضها لغرض طلب الرزق والتوسع في المعاش أو غير ذلك ، وقد فرط بعض المسلمين هداهم الله ، ومن فعل ذلك فقد ارتكب جرما عظيما وعرض نفسه للخطر وهو باق على دينه لا يكفر إلا إذا حصل منه ما

يوجب ردته [1] .

[1] ينظر: طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي (2/ 25-24)، ومقال بعنوان : شرح حديث إنما الأعمال خالد بن سعود البليهد . خالد بن سعد البليهد، مقال بعنوان : شرح حديث إنما الأعمال، نشرة بموقع صيد الفوائد . ومقال لعبد العال بن سعد الرشيدي، بعنوان "شرح حديث إنما الأعمال بالنيات"، نشره في ملتقى الألوكة . بتاريخ: 5/11/2015 .

المحاضرة الثالثة: حديث "الإسلام والإيمان والإحسان"

أولا: نص الحديث: قال الإمام مسلم في صحيحه: حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى - وهذا حديثه - حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ρ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب **قال بينما نحن عند رسول الله ρ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ρ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ρ « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت. قال فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان. قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ». قال صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان. قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». قال فأخبرني عن الساعة. قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل ». قال فأخبرني عن أمارتها. قال « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ». قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال « يا عمر أتدرى من السائل ». قلت الله ورسوله أعلم. قال « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" .**

ثانيا: تخريج الحديث:

- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، برقم: 102 عن عمر τ، وباب: الإسلام ما هو وبيان خصاله برقم: 108 عن أبي هريرة τ .

- ورواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيّ ρ عَنِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، رقم: 50، وكتاب التفسير (سورة لقمان)، باب قَوْلِهِ " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ"، رقم: 4777، في الموضعين عن أبي هريرة τ .

- و أبو داود ، في كتاب: السنة، باب فِي الْقَدَرِ، رقم: 4697، عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ τ .

- و الترمذي، في كتاب: الإيمان، باب: مَا جَاءَ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ρ الإِيمَانَ وَالإِسْلاَمَ، رقم: 2815 . عن عُمَر بْن الْخَطَّابِ τ .

- **والنسائي**، في كتاب الإيمان وشرائعه، باب نَعْتِ الإِسْلاَمِ، رقم: 5007 . عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ τ .

- **و ابن ماجه:** في المقدمة، باب في الإيمان، رقم: 66 . عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ τ .

- وأحمد في مسند عمر بن الخطاب τ، برقم: 374 .

- وقد رواه أيضاً عن رسول الله ρ غير عمر وأبي هريرة من الصحابة، فرواه **أبو ذر** τ عند أبي داود والنسائي، **وابن عمر** τ عند أحمد والطبراني وأبي نعيم، **وأنس** τ عند البخاري في خلق أفعال العباد والبزار، وقال: "وإسناده حسن"، **وجرير بن عبد الله البجلي** τ عند أبي عوانة، **وابن عباس وأبو عامر الأشعري** τهما عند أحمد، وقال: "وإسنادهما حسن" [1] .

شجرة الإسناد

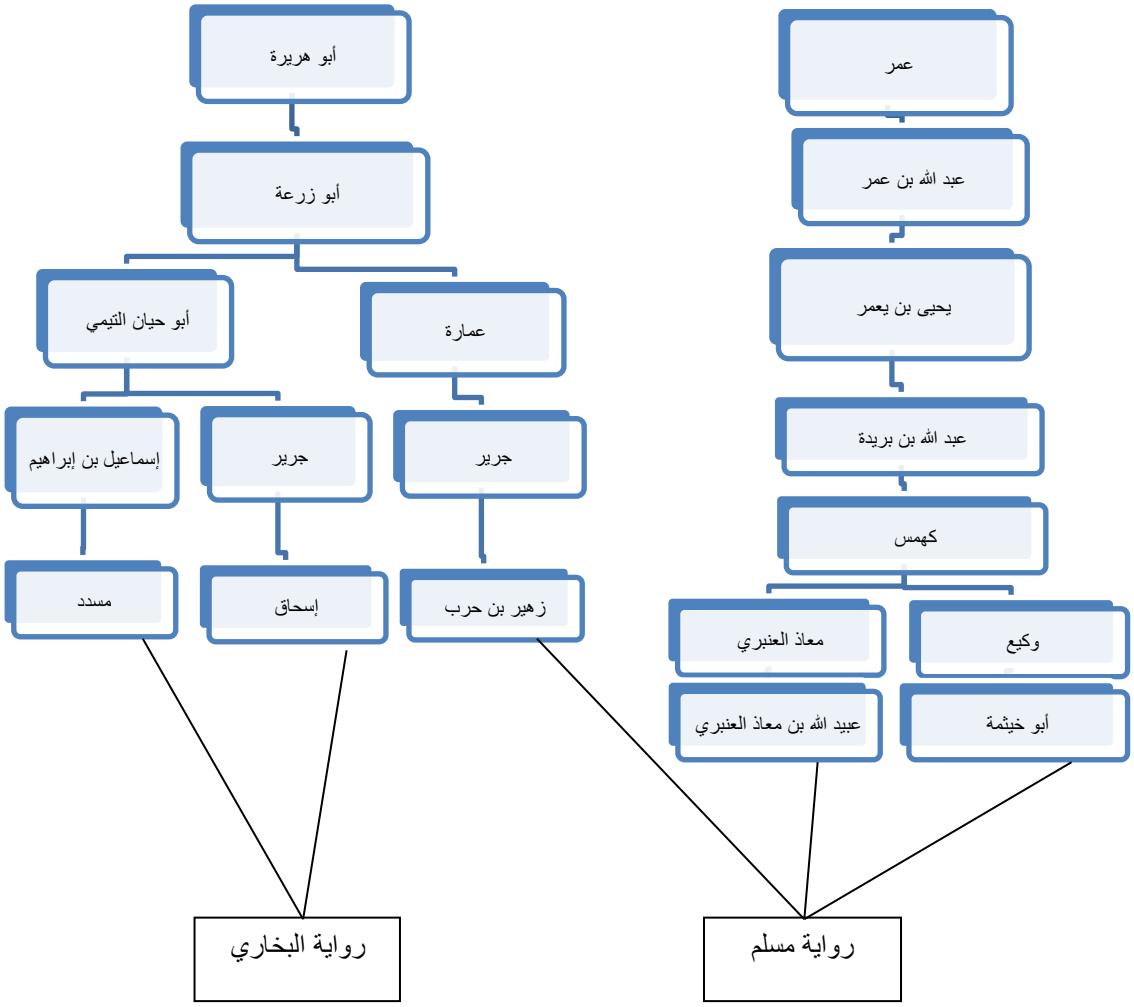

ثالثا: ترجمة الرواة:

1 – عمر بن الخطاب τ: سبقت ترجمته في الحديث السابق .

2 – أبو هريرة τ : اختلف في اسمه كثيرا؛ قال: كَانَ اسْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْد شَمْسٍ فَسُمِّيتُ فِي الإِسْلاَمِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَإِنَّمَا كُنِّيتُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ، لأَنِّي وَجَدْتُ هِرَّةً فَجَعَلْتُهَا فِي كُمِّي، فَرَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ρ فَقَالَ لِي: مَا هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: هِرَّةٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . أسلم عام خيبر وشهدها مَعَ

[1] فتح الباري، لابن حجر (1/ 116-115) .

رسول الله ρ ثم لزمه رغبة فِي العلم راضيًا بشبع بطنه، وَكَانَ من أحفظ الصحابة لأنه كان يحضر ما لا يحضره غيره لانشغالهم بحوائجهم، حتى شهد له رَسُول اللَّهِ ρ بأنه حريص عَلَى العلم والحديث، وَقَالَ له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إني قد سمعت منك حديثًا كثيرًا وأنا أخشى أن أنسى فَقَالَ: "ابسط رداءك". قال: فبسطته، فغرف بيده فيه، ثم قَالَ: "ضمه" فضممته، فما نسيت شَيْئًا بعده. قَالَ البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع؛ منهم
ابن عباس، وابن عمر، وجابر بْن عَبْد اللَّهِ، وأنس . استعمله عُمَر بْن الْخَطَّابِ عَلَى البحرين ثم عزله، ثم أراده عَلَى العمل فأبى، سكن المدينة حتى توفي بِالْعَقِيقِ، سنة: سَبْعٍ أو ثَمَانٍ أو تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وله ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ[1] .

- **ترجمة أبي زرعة:** هو هرم أبو زرعة بن عمرو بن جرير من أهل الكوفة ، ثقة من الثالثة، **روى عن** أبي هريرة وأبي موسى، و**روى عنه** عمارة بن القعقاع وإبراهيم النخعي، قال جرير عن عمارة بن القعقاع قال لي إبراهيم: إذا حدثتني فحدثني عن أبي زرعة فإني سألته عن حديث ما سألته بعد ذلك بسنة أو سنتين فما أخرم منه حرفا، وقال الواقدي كان لجرير ابن يقال له "عمرو" وبه كان يكنى، هلك في إمارة عثمان فولد عمرو ابنا اسماه جريرا باسم أبيه[2] .

رابعا: منزلة الحديث عند العلماء

1- قال القاضي عياض :" وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعةٌ إليه، ومتشعبة منه"[3] .

2 - وقال ابن رجب:" حديث عظيم جدا، يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي ρ في آخره: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كله دينا" [4] .

3 - قال ابن دقيق :"فهو كالأم للسنة كما سميت الفاتحة: أم القرآن لما تضمنته من جمعها معاني القرآن" [5] .

خامسا: غريب الحديث:

- **{الأَمَارَة} :** الوَقْتُ والْعَلامَة الَّتِي يعرف بهَا الشَّيْء، وَفِيه لُغَتَانِ: الأمار والأمارة[6] .
- **{الأَمَةُ}** المَمْلُوكَةُ [7] .
- **{ربتها}:** الرَّبُّ يُطْلقُ فِي اللُّغة عَلَى المالِك، وَالسَّيِّدِ، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غَيره أُضِيف، فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا. وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْر مُطْلَقًا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بالكَثِير، **وأَرَادَ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ**: المولَى والسّيّد[1] .

---

[1] ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (4/1768- 1771) ، وأسد الغابة، لابن الأثير (5/ 321-318) .
[2] ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري (8/ 243)، وتهذيب الكمال، للمزي (33/ 324)، والثقات، لابن حبان (5/ 513)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (12/ 89) .
[3] إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (1/ 204) .
[4] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 97) .
[5] شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 29) .
[6] غريب الحديث للقاسم بن سلام (4/ 64، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (1/ 67) .
[7] القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الواو والياء، فصل الهمزة (ص: 1627) .

- **{العَالة}** : جمع عائل وهو الفقير[2] .
- **{رعاء} :** الرِّعَاءُ بِالْكَسْرِ والمَدِّ جمعُ رَاعِي الغَنَم، وَقَدْ يُجمعُ عَلَى رُعَاةٍ بِالضَّمِّ[3] .
- **{مليّا}** : المليُّ الزَّمن الطّويل. وأقامَ مِلِيَّاً، أي: دهراً طويلاً. ويقال مضى ملي من النهار أو الليل ما بين أوله إلى ثلثه أو قطعة منه لا تحد [4] .

سادسا: شرح الحديث:

قوله عمرτ (إذ طلع علينا)؛ أي: ظهر لنا **(رجلٌ)** هو جبريل υ أتى النبي ρ في صورة رجل لا يعرفونه، وكان في الغالب يأتيه في صورة الصحابي دحية الكلبي τ ، وكان أجمل أهل زمانه، وأحسنهم صورة . **(شديد سواد الشعر)** أي: شعر اللحية، كما وقع في رواية لابن حبان" شَدِيد سَواد اللِّحْيَة"[5]. **(لا يرى)** هو بضم الياء وهو أبلغ من نرى **(لا يرى عليه أثر السفر)** لأن المسافر -لا سيما في ذلك الوقت- يكون أشعث أغبر؛ لأنهم يمشون على الإبل، أو على الأقدام، والأرض كلها غبار، لكن هذا لا يري عليه أثر السفر . **(ولا يعرفه منا أحدٌ)**؛ أي: معشر الصحابة [6] .

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ عَلِمَ عُمَرُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ؟ أُجِيبَ: بِأَنَّهُ يَحْتَمِلُهَا، ثُمَّ اسْتَنَدَ فِي ذَلِكَ إِلَى ظَنِّهِ، أَوْ إِلَى صَرِيحِ قَوْلِ الْحَاضِرِينَ، وَالثَّانِي: أَوْلَى فَقَدْ جَاءَ كَذَلِكَ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ غِيَاثٍ "فَنَظَرَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَقَالُوا: مَا نَعْرِفُ هَذَا" [7] .

(فأسند)؛ أي: ألصق **(ركبتيه إلى ركبتيه)** تقتضي أنه جلس بين يدي النبي ρ وإلا لم يتصور إسناد ركبتيه إلى ركبتيه، لأنه لو جلس إلى جانبه لما أمكنه إلا إسناد ركبة واحدة منه إلى ركبة واحدة من النبي ρ، وهذا جلوس المتعلمين بين يدي المشايخ للتعلم .**(ووضع كفيه على فخذيه)**؛ الضمير في كفيه للرجل، وفي فخذيه؛ يحتمل: أنه للرجل أيضًا، وأنه وضع كفيه على فخذي نفسه معتمدا عليهما وقت السؤال، ويحتمل: أنه للنبي ρ وأن الرجل وضع كفيه على فخذي النبي ρ استئناسًا باعتبار ما بينهما من الأنس في الأصل حين يأتيه جبريل υ لتبليغ الوحي، وهذا الاحتمال أرجح . **(وقال: يا محمد)** ولم يقل: يا رسول الله أخبرني، كصنيع أهل البادية الأعراب؛ لأن الأعراب إذا جاؤوا إلى النبي ρ يقولون: يا محمد، أما الذين سمعوا أدب الله عز وجل لهم فإنهم يقولون: يا رسول الله، لأن الله تعالى قال في كتابه ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾ تنَّ النور: ٦ ، وفي رواية " يا رسول الله ".

وسبب ذلك: قيل: لأن ذلك قبل التحريم، أو لأن الحرمة مختصة بالآدميين دون الملائكة .

قول جبريل υ(أخبرني عن الإسلام)؛ وهو سؤال مجمل، يحتمل أن يكون عن حقيقة الإسلام، وعن شروطه، وعن أركانه، وعن زمانه ومكانه، وغير ذلك من لواحقه[1] .

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (2/ 179) .
[2] الفائق في غريب الحديث و الأثر، للزمخشري (2/ 244) .
[3] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (2/ 235) .
[4] ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب الميم، (باب الميم وما بعدها في المضاعف والمطابق) مادة (ملي) (5/ 346) ، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الميم (2/ 887) .
[5] صحيح ابن حبان (1/ 390) .
[6] شرح رياض الصالحين، للعثيمين (1/ 345) .
[7] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن الملا الهروي (1/ 52) .

فإن قيل: فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ بَدَأَ بِالسُّؤَالِ قَبْلَ السَّلَامِ أُجِيبَ بِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُبَالَغَةً فِي التَّعْمِيَةِ لِأَمْرِهِ، أَوْ لِيُبَيِّنَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ، أَوْ سَلَّمَ فَلَمْ يَنْقُلْهُ الرَّاوِي، قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا الثَّالِثُ هُوَ الْمُعْتَمَدُ؛ فَقَدْ ثَبَتَ فِي رِوَايَةِ أَبِي فَرْوَةَ " كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَمْ يَمَسَّهَا دَنَسٌ حَتَّى سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ الْبِسَاطِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ" [2] .

قوله ρ (قال الإسلام أن تشهد)؛ أي: تعلم وتصدق وتسلم **(أن لا إله إلا الله)**؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، **(وأن محمدًا رسول الله)** أي: وتشهد بذلك، **(وتقيم الصلاة)**؛ أي: تأتي بها بأركانها وشروطها، وتواظب عليها في أوقاتها، **(وتؤتي الزكاة)** أي: تؤديها على وجهها الشرعي؛ بأن تعطيها لمستحقيها، أو للإمام ليدفعها لهم، والزكاة لغةً: النمو والزيادة، لأنها تنمي المال بالبركة، أو سبب في نموه وزيادته، **(وتصوم رمضان)**، والصوم لغة: الإمساك والكف عن الشيء، كقوله تعالىٰ ﴿ ﴾ مريم: ٢٦ ؛ أي صمتًا . والمعنى: أن تمتنع عن جميع المفطرات في أيامه، **(وتحج البيت)** أي: تقصد بيت الله الحرام في زمن مخصوص بنية أداء المناسك من طواف وسعي ووقوف بعرفة وغيرها **(إن استطعت إليه سبيلًا)**؛ أي: قدرت على الوصول إليه بدون مشقة عظيمة، مع الأمن على النفس والمال، ووجود مؤن السفر [3] .

(قال) الرجل **(صدقت)**؛ أي: فيما أجبت به، قال عمر τ **(فعجبنا له)**؛ أي: منه **(يسأله ويصدقه)**، وجه التعجُّب: أنَّ الغالبَ على السائل كونه غير عالِم بالجواب، فهو يسأل ليصل إلى الجواب، لأنَّ السائلَ إذا صدَّق المسئول دلَّ على أنَّ عنده جواباً من قبل، ولهذا تعجَّب الصحابةُ[4]. وقال ابن دقيق العيد: "إنما تعجبوا من ذلك؛ لأن ما جاء به النبي ρ لا يعرف إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عُرف بلقاء النبي ρ ولا السماع منه، ثم هو قد سأل سؤال عارف محقق مصدق، فتعجبوا من ذلك"[5] .

قول جبريلυ (فأخبرني عن الإيمان) والإيمان في اللغة: هو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول والإذعان وهو مطابق للشرع، وأما قولهم: الإيمان في اللغة التصديق ففيه نظر، لأنه يقال: آمنت بكذا وصدقت فلاناً ولا يقال: آمنت فلاناً، بل يقال: صدقه، فصدق فعل متعدٍ، و"آمن" فعل لازم، وقد ذكر ذلك ابن تيمية باستفاضة في (كتاب الإيمان) وقد اتفق أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل .

قوله ρ (أن تؤمن بالله)؛ أي: بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. **(وملائكته)**؛ بدأ بالملائكة قبل الرسل والكتب لأنهم عالم غيبي، أما الرسل والكتب فعالم محسوس، فالملائكة لا يظهرون بالحس إلا بإذن الله عزّ وجل، وقد خلق الله الملائكة من نورٍ، والإيمان بهم يتضمّن: الإيمان بأسماء من علمنا أسماءهم، مثل جبريل ومن لم نعلمه نؤمن به إجمالا، وأن نؤمن بما لهم من أعمال كالوحي والقطر والنفخ في الصور، ونؤمن بصفاتهم وأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه

---

[1] ينظر: التعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفي (1/ 50-49) ، وشرح رياض الصالحين، للعثيمين (1/ 347) .

[2] تحفة الأحوذي، للمباركفوري (7/ 289) .

[3] مقال بعنوان: شرح حديث مراتب الدين من الأربعين النووية)، لعبد العال بن سعد الرشيدي تاريخ الإضافة 11/11/2015 : ميلادي ، 1437/1/28 هجري نشر في شبكة الألوكة .

[4] فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين، لعبد المحسن العباد البدر (ص: 16) .

[5] شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص: 29) .

بالقول، وهم بأمره يعملون، وقد رأى النبي ρ جبريل υ وله ستمائة جَناح، قد سد الأفق .
(وكتبه)؛ جمع كتاب بمعنى: مكتوب والمراد بها الكتب التي أنزلها الله عزّ وجل على رسله قال تعالى ﴿ خخ لم لى لي ﴾ الحديد: ٢٥، ومعنى الإيمان بها: التصديق بأنها كلام الله تعالى، والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور: أولاً: أن نؤمن بأن الله تعالى أنزل على الرسل كتباً، ثانياً: أن نؤمن بصحة ما فيها من أخبار. ثالثاً: أن نؤمن بما فيها من أحكام إذا لم تخالف الشريعة على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يرد شرعنا بخلافه. رابعاً: أن نؤمن بما علمنا من أسمائها، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى .

(ورسله) بأن تصدق بأن الله تعالى أرسلهم إلى الخلق؛ لهدايتهم إلى طريق الحق، وأنهم صادقون في جميع ما جاؤوا به عن الله تعالى، وأنه يجب احترامهم، وألا نفرق بين أحد منهم، ونؤمن إجمالًا بمن لم نعرفه بعينه، وتفصيلًا بمن عرفناه بعينه؛ قال تعالى ﴿ ﴾ النساء: ١٦٤ ، وأولهم نوح، وآخرهم محمد ρ ومنهم الخمسة أولو العزم، محمد ونُوح وَإِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . **(واليوم الآخر)**؛ أي: وأن تؤمن باليوم الآخر؛ لأنه آخر أيام الدنيا، **والمراد به الإيمان بأربعة أمور هي**: أولاً: الإيمان بوقوعه، وأن الله يبعث من في القبور، ثانياً: الإيمان بكل ما ذكره الله في كتابه وما صح عن النبي ρ مما يكون في ذلك اليوم الآخر، من كون الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً. ثالثاً: الإيمان بما ذكر في اليوم الآخر من الحوض والشفاعة والصراط والجنة والنار رابعاً: الإيمان بنعيم القبر وعذابه . **(وتؤمن بالقدر خيره وشره)**؛ والإيمان بالقدر يتضمّن أربعة أمور: الأول: أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، ثانياً: الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ، مقادير كل شيء إلى يوم القيامة، ثالثاً: أن تؤمن بأن كل ما حدث في الكون فهو بمشيئة الله تعالى .
رابعاً: الخلق، ومعناه: الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء، فنؤمن بعموم خلق الله تعالى لكل شيء [1] .

وقد فرق النبي ρ بين الإسلام والإيمان؛ حيث خص الأول بالأعمال الظاهرة والثاني بالباطنة، ووجه ذلك كما قال ابن رجب :"أن الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي. وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة" [2] . **(قال صدقت)**؛ أي: فيما أخبرتني به.

قول جبريل υ(فأخبرني عن الإحسان) أي في العبادة، وهو إتقانها والإخلاص فيها ومراقبة المعبود.

قوله ρ **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**، قال الحافظ: وأشار في الجواب إلى حالتين أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله "كأنك تراه" أي وهو يراك، والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه، يرى كل ما يعمل، وهو قوله "يراك"،

---

[1] شرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: 34 -53) .
[2] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 106) .

وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقال العيني: التقدير: الإحسان: عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائياً، ولا شك أنه لو كان رائياً حال العبادة لما ترك شيئاً مما قدر عليه من الخشوع وغيره[1] .

قول جبريلυ (فأخبرني عن الساعة)؛ يعني عن القيامة وزمن وجودها، وسميت ساعة وإن طال زمنها اعتبارا بأول أزمنتها فإنها تقوم بغتة في ساعة، ومن الناس من يكون قد تناول لقمة فلا يمهل حتى يبتلعها كما قال تعالى ﴿ ﴾ محمد: ١٨ .

قولهρ "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" أي: كلانا سواء في عدم العلم بزمن وقوعها، وفيه تعريض للسامعين؛ أن كل مسؤول وكل سائل فهو كذلك قال تعالى ﴿ ﴾ طه: ٥٢ ، وفي الصحيح "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله" وتلا {إن الله عنده علم الساعة}.

ـ **وقد قسم العلماء** علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام: قسم: مضى، وقسم: لا يزال يتجدد، وقسم: لا يأتي إلا قرب الساعة تمامًا، وهي الأشراط الكبيرة العظمى؛ كنزول عيسى ابن مريم υ والدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها[2] .

قوله υ(فأخبرني عن أمارتها)؛ أي: علاماتها ومقدمتها قبل قيامها، تدل على قربها، قال النبي ρ **(أن تَلِدَ الأمَة ربتها)**، قيل: المراد أن يستولي المسلمون على بلاد الكفار، فيكثر التسري، وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة استيلاء المسلمين على المشركين، وكثرة الفتوح والتسري . وقيل: معناه: أن تفسد أحوال الناس حتى يبيع السادة أمهات أولادهم، ويكثر ترادهن في أيدي المشترين، فربما اشتراها ولدها وهو لا يشعر بذلك، فعلى هذا الذي يكون من أشراط الساعة غلبةُ الجهل بتحريم بيعهن . وقيل: معناه: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أَمَتَه من الإهانة والسب [3] .

قوله ρ (وأن ترى الحفاة) الحفاة: الذين ليس لهم نعال من الفقر، والعراة: ليس لهم كسوة من الفقر، العالة: الفقراء. يتطاولون في البنيان: يعني أنهم لا يلبثون إلا إن يكونوا أغنياء يتطاولون في البنيان حسا بأن يرفعوا بنيانهم إلى السماء، ويتطاولون فيها معنى أن يحسنوها ويزينوها ويدخلوا عليها كل ما يكون من مكملاتها، لأن لديهم وفرة من المال، وكل هذا وقع[4] .

واعلم أن إطالة البنيان لم تكن معروفة في زمن النبي ρ بل كان بنيانهم بقدر الحاجة، قال الحسن البصري : "كنت وأنا مراهق أدخل بيت أزواج النبي ρ في خلافة عثمان، فأتناول سقفها بيدي"[5] .

وهنا سؤال: هل الرسول ρ لما قال له جبريل: أخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربها..." إلخ هل أراد الحصر؟ أم أراد التمثيل؟ فالجواب: أنه أراد التمثيل، وفي هذا دليل على

---

[1] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري (1/ 40) .
[2] شرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: 54) .
[3] شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص: 31)
[4] شرح رياض الصالحين، للعثيمين (1/ 482) .
[5] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب التطاول في البنيان، رقم: 450 (ص: 230) .

أن الشيء قد يفسر ببعض أفراده على سبيل التمثيل، وإلا فهناك أشراط أخرى لم يذكرها النبي ρ في هذا المقام وذكرها في غيره[1] .

قال عمر τ **(ثم انطلق)**؛ أي: ذهب الرجل السائل **(فلبثتُ)**؛ أي: مكثت لا أدري من الرجل **(مليًّا)**؛ أي: زمنًا طويلًا، وهو ثلاثة أيام، كما في رواية الترمذي وغيره، وفي شرح السنة للبغوي (بعد ثالثة)، وظاهر هذا: أنه بعد ثلاث ليال، وفي ظاهر هذا مخالفة لقوله في حديث أبي هريرة بعد هذا: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ρ **(ردُّوا عليَّ الرَّجل)**، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئًا، فقال النبي ρ (هذا جبريل)؛ فيحتمل في الجمع بينهما: أن عمر τ لم يحضر قول النبي ρ لهم في الحال، بل كان قد قام من المجلس، فأخبر النبي ρ الحاضرين في الحال، وأخبر عمر τ بعد ثلاث؛ إذ لم يكن حاضرًا وقت إخبار الباقين، والله أعلم .

(ثم قال) النبي ρ **(يا عمر، أتدري)**؛ أي: أتعرف **(من السائل؟)** وتخصيص عمر بالنداء من بين الحاضرين يدل على جلالته ورفعة مقامه عند رسول الله ρ . **(قلت)** أي: عمرτ **(الله ورسوله أعلم)** ولا يخفى ما في قول عمر من حسن أدب، من جهة تفويض العلم إلى الله ورسوله .

(قال)؛ أي: النبي ρ (**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**؛ أي: يبين لكم أمر دينكم بسؤاله [2] .

سابعا: <u>الفوائد المستنبطة من الحديث</u>:

1- بدعةَ القول بنفي القَدَر ظهرت بالبصرة في حياة ابن عمرτ، وكانت وفاته سنة (73هـ).

2- رجوع التابعين إلى الصحابة في معرفة حكم ما يشكل عليهم من مسائل في العقائد و غيرها .

3- يُستحبُّ للحُجَّاج والمعتمرين استغلال مناسبة ذهابهم إلى الحرمين للتفقُّه في الدِّين وسؤال أهل العلم .

4- استحباب التجمل للقادم على العلماء وأهل الفضل .

5- على القادم أن يستأذن المجتمعين ويسلم عليهم .

6- يجب على المسؤول أن يكون متواضعًا .

7- إذا سئل العالِم عن شيء لا يعلمه فليقل: لا أعلم، وليس ذلك بمُنقِصٍ من قَدره، بل دليل ورَعه وعِلمه.

8- أن الملائكة قد تتمثل بصورة إنسان .

9- ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها أن يسأل هو عنها .

10- الدُّنو من العالم لكي يُسمِعه السؤال، ويستمِع إلى الجواب من غير مشقَّة على العالم .

11- أركان الإسلام الخمسة: الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

---

[1] شرح حديث جبريل ט، للعثيمين (ص: 57) .

[2] مقال "شرح حديث مراتب الدين من الأربعين النووية لعبد العال بن سعد الرشيدي .

12- أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله تعالى، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقَدَر خيره وشره، من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، مَن جحَد شيئًا منها فقد ارتدَّ عن الإسلام .

13- أهمية الإتقان في العمل والطاعة؛ فقد جعله الرسول ρ قَسيم الإسلام والإيمان.

14- العلم بمجيء وقت القيامة أستأثَر اللهُ بعِلمه ولم يُطلِع عليها أحدًا من خلْقه،بل أخبرنا بعلاماتها فقط .

15- حُسْن أدب الصحابة مع رسول الله ρ برد العلم إلى الله وإلى رسول الله ρ وعدم المبادرة بالإجابة، ولا ينبغي للطالب أن يُبادِر بالجواب بين يدَي معلِّمه؛ اقتداءً بصحابة رسول الله ρ .

16- استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه .

17- ينبغي للإمام ونوابه، وكذا العالم أن يبرزوا بعض الأوقات للناس لقضاء حوائجهم والنظر في مصالحهم؛ وفي بعض روايات هذا الحديث "كان النبي ρ بارزا يوما للناس"، قال الحافظ ابن حجر: أي ظاهرا لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس بغيره .

18- فيه جواز رواية الحديث بالمعنى، ففي بعض الروايات " يا محمد" وفي غيرها " يا رسول الله " وفي أخرى " يا نبي الله "...لكن ذلك مقيد بشروط، أهمّها: أن يكون الراوي عالما بمدلولات الألفاظ، أن لا يكون الحديث مما يتعبد بلفظه كالأدعية والأذكار، وأن لا يكون من جوامع الكلم .

19- وفي مبالغة جبريل υ في تعمية أمره، حيث ظهر بمظهر الأعراب الجفاة، ونادى النبيّ ρ باسمه من طرف البساط، وتخطى الرقاب حتى جلس بين يدي النبيّ ρ دليل على لزوم الأخذ بالوسائل من أجل تحقيق المقاصد؛ إذ لو عَلِمَ الصحابة حقيقته، لربما انشغلوا به عن الفائدة التي جاء من أجلها .

20- احتجاج الصحابة بالسنة الصحيحة في بيان العقائد ولو كانت آحادا، حيث استدل عبد الله بن عمر τ وهو من علماء الصحابة وفقهائهم بهذا الحديث في الرد على القَدَرية، وفيه قبول خبر الواحد لأن الذي أجاب يحيى بن يعمر وصاحبه واحد وهو ابن عمر τ [1] .

المحاضرة الرابعة: حديث "لا يؤمن أحدكم حتَّى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسه" .

أولا: نص الحديث:

[1] ينظر: دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، لابن علان الصديقي (1/216) . وشرح حديث جبريل في تعليم الدين، لعبد المحسن بن حمد العباد البدر (ص: 9) ، و مقال منشور في ملتقى أهل الحديث لأبي زكريا يوسف بن عاطي الجزائري .

قال البخاري: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ τ عَنِ النَّبِيِّ ρ وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ قَالَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ τ عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " .

ثانيا: تخريج الحديث:

- رواه البخاري: كتاب: الإيمان، باب مِنَ الإيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، رقم: 13 .
- رواه مسلم: كتاب: الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم: 179 ، ورقم: 180 .
- والترمذي: في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ρ، باب: 59، رقم: 2515 .
- وأبوداود: في كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: عَلاَمَةِ الإيمَانِ، 5033 ورقم: 5034. وباب: علامة المؤمن، رقم: 5056 .
- والنسائي في سننه: في كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: عَلاَمَةِ الإيمَانِ، رقم: 5033 .
- و أحمد في مسند أنس بن مالك، رقم: 12801، ج (20/ 193) .
- و أبو داود الطيالسي في مسند أنس بن مالك، رقم: 2116، (3/ 497) .

شجرة الإسناد

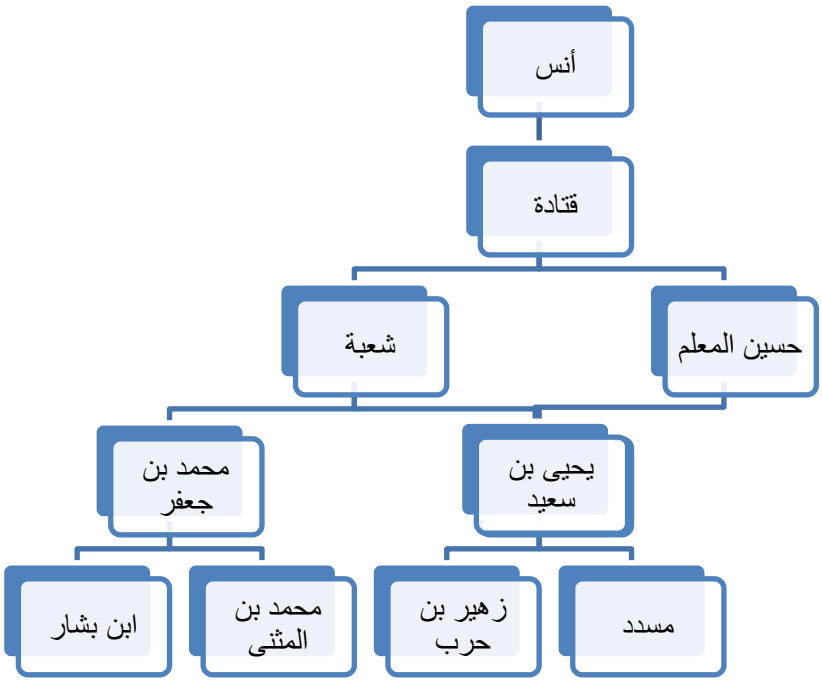

ثالثا: ترجمة الرواة:

1- **أنس بن مالك:** بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي النجاري البصري، خادم رسول الله ρ يكنى أبا حمزة، كان يتسمى به ويفتخر بذلك، سمي باسم عمه أنس بن النضر. أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية، كان مقدم النبي ρ المدينة ابن عشر سنين، وقيل: ابن ثمان سنين .

قال خليفة: مات أنس بن مالك سنة ثلاث وتسعين وهو ابن مائة وثلاث سنين. وقيل: كانت سنه إذ مات مائة سنة وعشر سنين . وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، قَالَ أبو عمر: يقال

إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ρ وما أعلم أحدًا مات بعده ممن رأى رَسُول اللَّهِ ρ إلا أبا الطفيل عامر بن وائلة، ويقال: إن أنس بن مالك قدم من صلبه من ولده وولد ولده نحوا من مائة قبل موته، وذلك أن رسول الله ρ دعا له فقال: اللَّهمّ ارزقه مالا وولدًا وبارك له. قَالَ أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالا وولدًا. ويقال: إنه ولد لأنس بن مالك ثمانون ولدًا منهم ثمانية وسبعون ذكرا، وبنتان؛ حفصة وأم عمرو[1] .

2- قتادة بن دعامة السدوسي يكنى أبا الخطاب بصري تابعي ثقة، وكان ضرير البصر وكان يتهم بالقدر ولا يدعو إليه ولا يتكلم فيه، جعله ابن سعد في الطبقة الثالثة، توفي سنة سبع أو ثماني عشرة ومائة[2] .

3- شعبة بن الحجاج بن الورد الواسطي مولى عتيك كنيته أبو بسطام، **يروي عن** قتادة وأبى إسحاق، **روى عنه** الثوري وحماد بن سلمة والبصريون، كان مولده سنة ثلاث وثمانين بنهريان قرية أسفل من واسط، ومات سنة ستين ومائة وله يوم مات سبع وسبعون سنة[3] .

4- **يحيى بن سعيد** بن فَرُّوخ القطان مولى بني تميم كنيته: أبو سعيد الأحول من أهل البصرة، **يروى عن** يحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة، **روى عنه** العراقيون مات يوم الأحد الثاني عشر من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان من سادات أهل زمانه حفظا وورعا وعقلا وفهما ودينا، ومنه تعلم علم الحديث أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المديني[4] .

5- مسدد: مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل، أبو الحسن الأسدي ثقة، **روى عن** حماد بن زيد ومهدى بن ميمون ، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين، قال يحيى بن سعيد القطان: لو أتيت مسددا في بيته فحدثته لكان يستأهل[5] .

رابعا: منزلة الحديث عند العلماء:

1- قال نجم الدين الطوفي:" وهو قاعدة الإسلام الكبرى التي أوصى الله عزَّ وجلَّ بها بقوله: ﴿ ﴾ آل عمران: ١٠٣"[6] .

2- قال أبو داود:" عن كتاب " السنن " :" جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: ... والثالث: قوله ρ «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ...»[7] .

3- قال بن أبي زيد المالكي:" جماع آداب الخير تتفرع من أربعة أحاديث: 1 "حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ... "[8] .

4- قال عطية سالم:" هذا الحديث من جوامع كلمه ρ "[9] .

---

[1] ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البدر (1/ 111-109) ، وأسد الغابة، لابن الأثير (1/ 152-151) .
[2] ينظر: الثقات، للعجلي (2/ 215)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (7/ 229) .
[3] الثقات، لابن حبان (6/ 446) .
[4] ينظر: الثقات، لابن حبان (7/ 611)، وتقريب التهذيب، لابن حجر (ص: 1055) .
[5] ينظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (8/ 438)، والثقات، للعجلي (2/ 272)، والتاريخ الصغير، للبخاري (2/ 327) .
[6] التعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفي (1/ 124) .
[7] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 62) .
[8] شرح السيوطي على مسلم (1/ 61) .
[9] شرح الأربعين النووية، لعطية سالم (36/ 2) .

خامسا: غريب الحديث:

{حتى يحب} والمحبة إرادة ما يعتقده خيرا [1] .

سادسا: شرح الحديث

قوله ρ (لا يؤمن أحدكم): الأصل في النفي نفي حقيقة الشيء، لكن النفي هنا لا ينفي حقيقة الإيمان، ولا أصل الإيمان، إنما ينفي كمال الإيمان الواجب، كما هو مفسر في رواية أحمد "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"، فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه لا يخرج بذلك عن دائرة الإيمان بل هو مؤمن، ولا يخرج بذلك عن دائرة الإسلام بل هو مسلم، لكنه ارتكب هذا الإثم وهذا الذنب، ونقص من إيمانه بقدر ذلك، فالمنفي هو كمال الإيمان [2] .

(حتى يحب) والمحبة إرادة ما يعتقده خيرا، قال النووي:" أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقا، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه [3] .

(حتى) المراد بهذه الغاية وأمثالها أنه: لا يكمل الإيمان بدونها، لا أنها وحدها كافية في كمال الإيمان .

(لأخيه): يعني: المسلم، وتخصيص المسلم بذلك لمزيد حرمته لا لاختصاص به من كل وجه، لأن الذمي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه، بنحو ترك دفع عدوّه والكذب عليه واحتقاره [4] .

(ما يحب لنفسه): أي: من الخير، كما عند النسائي وغيره، والخير: كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية وتخرج المنهيات لأن اسم الخير لا يتناولها .

والمراد: أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له لا عينه، سواء كان في الأمور المحسوسة أو المعنوية، وليس المراد أن يحصل لأخيه ما حصل له لا مع سلبه عنه ولا مع بقائه بعينه له إذ قيام الجوهر أو العرض بمحلين محال[5] .

قال النووي رحمه الله: قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: وهذا قد يعد من الصعب الممتنع، وليس كذلك؛ إذ معناه: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئًا من النعمة عليه، وذلك سهل على القلب السليم، وإنما يعسُرُ على القلب الدغل، عافانا الله وإخواننا أجمعين، والله أعلم[6] .

سابعا: الفوائد المستنبطة من الحديث

1- فيه الحث على محبة الخير للمؤمنين وأنها من أعظم أسباب تقوية الروابط بينهم .

---

[1] فتح الباري، لابن حجر (1/ 57) .

[2] شرح الأربعين النووية ، لعبد الكريم الخضير (11/ 4) .

[3] شرح النووي على مسلم (2/ 14) .

[4] ينظر: حاشية السندي على سنن النسائي (8/ 115)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، لابن علان الصديقي (2/ 289) .

[5] فتح الباري، لابن حجر (1/ 57) .

[6] شرح النووي على مسلم (2/ 17) .

2- دل الحديث على أن من خصال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه، وأعظم ذلك إن رأى نقصا في دين أخيه اجتهد في إصلاحه .
3- الحديث يدل على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وفعل الخيرات، وينقص بالمعصية .
4- قال ابن حجر - رحمه الله -: المقصود - في الحديث - الحث على التواضع [1] .
5- قال الكرماني - رحمه الله -: ومن الإيمان أيضًا أن يُبغِض لأخيه ما يُبغِض لنفسه من الشر[2] .
6- نفي الإيمان على مراتب:
- نفي لأصل الإيمان لانتفاء بعض أركانه كقوله تعالى: ﴿ خم □ □ □ سم □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ النساء: ٦٥
- نفي لكمال الإيمان الواجب لانتفاء بعض واجباته كقوله ρ(لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه) متفق عليه.
- نفي لكمال الإيمان المستحب لانتفاء بعض مستحباته .
7- اختلف العلماء في النصوص التي ورد فيها نفي الإيمان مثل (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) هل يسمى الفاعل ناقص الإيمان أو يسلب عنه اسم الإيمان، ويسمى مسلما؟.
والتحقيق: أن مرتكب الكبيرة لا يزول عنه اسم الإيمان بالكلية بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته ناقص الإيمان، كما قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية، فمذهب أهل السنة وسط في هذه المسألة بين المعتزلة والخوارج الذين يسلبون عنه الاسم فيكفرونه والمرجئة الذين يثبتون له الاسم المطلق ويقولون هو مؤمن كامل الإيمان .
8 - من تحلى بهذه الخصلة كان مستحقا للثواب المذكور في قوله ρ(من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه) مسلم.
9 - إنما يقدر على هذه الخصلة ويقوى عليها من رزق سلامة الصدر وكان قلبه خاليا من الغل والغش والحسد، أما من كان يحمل في قلبه الغل والحسد فإن ذلك يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز عن الناس بفضائله وينفرد بها عنهم والإيمان يقتضي خلاف ذلك .
10 - كان السلف الصالح رحمهم الله يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم وينصحون لهم وهذا يدل على تجردهم عن حظوظ أنفسهم وصدقهم وكمال إخلاصهم وحرصهم ، ومما يروى في ذلك (كان عطاء بن واسع يبيع حمارا له، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال لو رضيته لم أبعه).
وقال ابن عباس: (إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم)[3] .

---

[1] فتح الباري، لابن حجر (1/ 58) .
[2] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (1/ 95) .
[3] مقال بعنوان: شرح حديث (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، لخالد سعود البليهد، الرياض: نشره في موقع: صيد الفوائد بتاريخ: 1429/1/9 .

المحاضرة الخامسة: حديث "لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشوا، ولا تَبَاغَضُوا،...".

أولا: نص الحديث:

قال الإمام مسلم في صحيحه: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا داود - يعنى ابن قيس - عن أبى سعيد مولى عامر بن كريز عن أبى هريرة τ قال قال رسول الله ρ « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ها هنا ». ويشير إلى صدره ثلاث مرات « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

ثانيا: تخريج الحديث:

- **رواه مسلم**، في كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم: 6706 .
- و البخاري، في كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الحجرات: ١٢ ، رقم: 5719 .
- **و أبو داود** في سننه، أول كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، رقم: 4910 .
- **والترمذي**، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَسَدِ ، رقم: 1935 .
- **و مالك** في الموطأ برواية الحسن بن محمد، أبواب السير وغيره، باب: ما يكره من الكذب وسوء الظن والتجسس والنميمة، رقم: 895.
- **و أحمد**، في مسند أبي هريرة τ، برقم: 7713، (7/ 443) .

شجرة الإسناد:

ثالثا: ترجمة الرواة:

- **أبوهريرة τ:** سبقت ترجمته في الحديث الثاني .

- **أبو سعيد الخزاعي:** هو أبو سعيد مولى عبد الله بن عامر بن كريز الخزاعي. **روى عن** أبي هريرة والحسن البصري. **وروى عنه** صفوان بن سليم ومحمد بن عجلان والعلاء بن عبد الرحمن وأسامة بن زيد الليثي وداود بن قيس الفراء. ذكره ابن حبان في الثقات. روى له مسلم وأبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه[1] .

رابعا: منزلة الحديث عند العلماء:

- قال ابن الملقن :" هذا حديثٌ عظيمُ الفوائدِ كثيرُ العوائدِ"[2] .

- وقال النووي:"ما أعظم نفع هذا الحديث وأكثر فوائده"[3] .

- وقال ابن حجر العسقلاني:"وهو حديث عظيم اشتمل على جمل من الفوائد والآداب المحتاج إليها"[4] .

- وقال ابن حجر الهيتمي:"هو حديثٌ كثير الفوائد، عظيم العوائد، مشيرٌ إلى جُلِّ المبادئ والمقاصد، بل هو عند تأمل معناه وفهم مغزاه حاوٍ لجميع أحكام الإسلام منطوقًا ومفهومًا، ومشتملٌ على جميع الآداب أيضًا إيماءً وتحقيقًا"[5] .

خامسا: غريب الحديث:

- **{لاتحاسدوا}** : الحَسَدُ فهو أن يَتمنّى زوال النعمة عن المحسُودِ وإن لم يحصلْ له[6] .

- **{لاتناجشوا}** : أصل النجش الاستثارة، ومنه نجشت الصيد أنجُشه نجشًا، أي استثرته. وقال ابن قتيبة: أصل النجش الختل، وهو الخداع، ومنه قيل للصاعد: ناجش، وكل من استثار شيئًا فهو ناجش، والنَّجْشُ فِي الْبَيْعِ: هُوَ أَنْ يَمدَح السِّلعة ليُنفِقَها ويُرَوِّجَها، أَوْ يَزيد فِي ثَمَنِهَا وَهُوَ لَا يُرِيدُ شِراءَها، لِيَقَع غيرُه فِيهَا [7] .

- **{لاتباغضوا}**: البُغْضُ بالضَّمّ: ضِدُّ الحُبِّ، ولازمه في أكثر الأحيان العَدَاوَةُ، لَا أَنَّهما بمَعْنىً[8] .

- **{لاتدابروا}** التدابر المصارمة والهجران مَأْخُوذ من أَن يولي الرجل صَاحبه دبره ويعرض عَنهُ بِوَجْهِهِ[9].

- **{لايخذله}** : الْخَذْلُ: تَرْكُ الْإِغَاثَةِ والنُّصْرَةِ[10] .

- **{لايحقره}** الحَقْرُ فِي كُلِّ الْمَعَانِي: الذِّلَّة؛ وهو الانْتِقاصُ والعَيْبُ[11] .

---

[1] تهذيب الكمال، للمزي (33/ 358)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (12/ 100) .
[2] المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن (ص: 400) .
[3] الأذكار، للنووي (ص: 526) .
[4] فتح الباري، لابن حجر (10/ 484) .
[5] الفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيتمي (ص: 564) .
[6] غريب الحديث، لابن الجوزي (1/ 212) .
[7] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (5/ 21)، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى شاهين (6/ 202) .
[8] تاج العروس، للزبيدي، فصل الباء مع الضاد، مادة "بغض" (18/ 247) .
[9] غريب الحديث، للقاسم بن سلام (2/ 10) .
[10] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (2/ 16) .
[11] لسان العرب، لابن منظور، كتاب الراء، فصل الحاء المهملة (4/ 207و356) .

سادسا: شرح الحديث:

- **قوله ρ (لاتحاسدوا)** والحسد هو تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد، والمعنى: لا يحسد بعضكم بعضًا، والحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل . والتحاسد إنما يكون من الطرفين، وإذا كان هذا مذمومًا ففي الطرف الواحد من باب الأولى .

ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام:

الأول: من يسعى في إزالة نعمة عن المحسود فقط من غير نقلٍ إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما .

الثاني: من يحدث نفسه بذلك اختيارًا ويعيده ويبديه في نفسه مستروحًا إلى تمني زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية (لايسعى مثل الأول) .

الثالث: إذا حسد لم يتمَنَّ زوال نعمة المحسود، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، وهذه غبطة .

فإن قيل: ما معنى قوله ρ (لا حسد إلا في اثنتين) هل هو إباحة للحسد في الخَصلتين المذكورتين أو لا؟

قال العلماء: الحسد لا يباح بوجه من الوجوه، وأما قوله: (لا حسد إلا في اثنتين)، فالمراد به الغِبطة؛ أي: ليس شيء في الدنيا حقيقًا بالغبطة عليه إلا هاتان الخَصلتان: إنفاق المال والعلم في سبيل الله عز وجل .

والفرق بين الحسد والغبطة أن الحسد تمني زوال النعمة عن الغير، والغبطة تمني الإنسان مثل ما لغيره، من غير أن يزول عن الغير ما له . والحاسد في غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، ويغلق عنه أبواب التوفيق[1] .

- **قوله ρ (ولاتناجشوا)** أي لا ينجش بعضكم على بعض بأن يزيد في السلعة لا لرغبة فيها بل ليخدع غيره وهو حرام إجماعاً على العالم بالنهي سواء كان بمواطأة البائع أم لا، لأنه غش وخداع وهما محرّمان، لأنه ترك للنصح الواجب، ويصح تفسير النجش هنا بما هو أعم من ذلك، لأن النجش لغة، إثارة الشيء بالمكر والحيلة والخداع فالمعنى: لا تتخادعوا ولا يعامل بعضكم بعضاً بالمكر والاحتيال وإيصال الأذى إليه، قال تعالى ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ فاطر: ٤٣ ، فيدخل فيه على هذا جميع أنواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس عيب وكتمه وخلط جيد برديء، ويجوز المكر بمن يحل أذاه وهو الحربي ومن ثم قال: «الحرب خدعة»[2] .

- **قوله ρ (لاتباغضوا)** أي لا تتعاطوا أسباب البغض لأن البغض لا يكتسب ابتداء، فَإِنَّ الْبُغْضَ مِنْ نِفَارِ النَّفْسِ عَمَّا يُرْغَبُ عَنْهُ، وَأَوَّلُهُ الْكَرَاهَةُ، وَأَوْسَطُهُ النُّفْرَةُ، وَآخِرُهُ الْعَدَاوَةُ، كَمَا أَنَّ الْحُبَّ مِنِ انْجِذَابِ النَّفْسِ إِلَى مَا يَرْغَبُ فِيهِ، وَمَبْدَؤُهُ الْمَيْلُ، ثُمَّ الْإِرَادَةُ، ثُمَّ الْمَوَدَّةُ وَهُمَا مِنْ غَرَائِزِ الطَّبْعِ

---

[1] ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل الكوراني (9/ 449)، والتعيين في شرح الأربعين، للطوفي (1/ 295)، ومقال بعنوان "شرح حديث: لا تحاسَدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا"، لعبد العال بن سعد الرشيدي، نشر في شبكة الألوكة، بتاريخ: 6/8/2016 .

[2] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي (3/ 22) .

. و النَّهْيَ عَنِ التَّبَاغُضِ تَأْكِيدٌ لِلْأَمْرِ بِالتَّحَابُبِ مُطْلَقًا إِلَّا مَا يَخْتَلُّ بِهِ الدِّينُ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ حِينَئِذٍ التَّحَابُبُ، وَيَجُوزُ التَّبَاغُضُ[1] .

- **قوله ρ (لا تدابروا)** أي: لا يدبر بعضكم عن بعض، أي: يعرض عنه بما يجب عليه من حقوق الإسلام من الإعانة والنصرة ونحوهما، **والمراد التدابر الحسي:** بمعني مثلاً أن تجلس وتذر الناس وراءك في المجالس، نعم هذا من المدابرة، ومن المدابرة أيضاً المقاطعة في الكلام حين يتكلم أخوك معك وأنت قد صددت عنه، أو إذا تكلم وليت وتركته. **والتدابر المعنوي،** وهو اختلاف الرأي، بحيث يكون كل واحد منا له رأى مخالف للآخر، وهذا التدابر في الرأي أيضاً نهى عنه الرسول ρ .

ولا ملازمة بين التباغض والتدابر لأن الشخص قد يبغض صاحبه عادة، ويقبل عليه بتوفية حقوق الإسلام عبادة، وقد يعرض عنه وهو يحبه خشية تهمة، أو تأديبًا له، وفي نحوه قيل: لَا يَكْتُمُ الحُبَّ إلا خَشْيَةُ التُّهَمِ[2] .

- **قوله ρ (ولا يبع بعضكم على بيع بعض)** وهو أن يكون المتبايعان قد تواجبا الصفقة وهما في المجلس لم يتفرقا بعد وخيارهما باق فيجيء الرجل فيعرض عليه مثل سلعته أو أجود منه بمثل الثمن أو أرخص منه فيندم المشتري فيفسخ البيع فهذا النوع ضرره على البائع، فأما مادام المتبايعان يتساومان فإنه لا يضيق ذلك، وقد باع رسول الله ρ الحِلس والقدح فيمن يزيد، وفي معناه: الشراء على الشراء، وضرره على المشتري كما في رواية (لا يسم على سومه) [3] .

- **قوله ρ (وكونوا عباد الله إخوانا)** أي: اكتسبوا ما تصيرون به إخوانا فيما سبق ذكره وغيره المُؤَلِّفَات وتركِ المُنفِّرَات، وهذا شبيه بالتعليل لما تقدم، كأنه قال: إذا تركتم التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضكم على بعض كنتم إخوانا، وإن لم تتركوا ذلك كنتم أعداء .

- **قوله ρ (المسلم أخو المسلم)** فيه حث على رعايته وأن يحب له ما يحب لنفسه، ويدفع عنه ما يدفع عن نفسه، والأخوة تارة تكون نَسَبِيّة، وتارة تكون دينية، وفي التنزيل ﴿ ﴾ الحجرات: ١٠

، وفي السنة "المسلم أخو المسلم" والأخوة الدينية أعظم من النسبيّة، بدليل أن الأخوين من النسب إذا افترقا في الدين لم يتوارثا، والأجنبيان إذا اتفقا في الدين توارثا عند فقد القرابة، كما وَرَّثَ الشافعي بيت مال المسلمين لاجتماعهم في أخوة الإسلام[4] .

- **قوله ρ (لا يظلمه)** أي: لا يُدخِل عليه ضررًا في نحو نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله بغير إذنٍ شرعيٍّ؛ لأن ذلك قطيعةٌ محرمةٌ تنافي أخوة الإسلام، بل الظلم حرامٌ حتى للذمي، فالمسلم أَولى .

---

[1] ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لنور الدين الملا الهروي (8/ 3148)، وعون المعبود، للعظيم آبادي (13/ 174) .

[2] ينظر: التعيين في شرح الأربعين،للطوفي (1/ 299)، وشرح رياض الصالحين، للعثيمين (2/ 583) .

[3] ينظر: معالم السنن، للخطابي (3/ 108)، والمعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن (ص: 404) .

[4] ينظر: التعيين في شرح الأربعين، لابن الملقن (301/1- 302)، والكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد الكوراني (5/ 119) .

- **قوله ρ (ولا يخذُله)** أي: لا يترك نصرته المشروعة، سيما مع الاحتياج أو الاضطرار إليها، لأن من حقوق الأخوة التناصر؛ قال تعالى ﭐﱡ ﱠ المائدة: ٢، وقولهﭐﱡ ﱠ الأنفال: ٧٢ ، وقال ρ "انصر أخاك ظالمًا"بأن تكفَّه عن ظلمه؛ كما في البخاري "أو مظلومًا" .

- **قوله ρ (ولا يَحقره)** أي: لا يستصغر شأنه ويضع من قدره؛ لأن اللَّه تعالى لمَّا خلقه لم يحقره، بل رفعه وخاطبه وكلَّفه، فاحتقاره تجاوزٌ لحدِّ الربوبية في الكبرياء، وهو ذنبٌ عظيم، ومن ثم قال ρ "بحسب امرئٍ من الشر. . . إلخ" [1] .

- **قوله ρ (التَّقْوى ها هنا، ويشيرُ إلى صدره)** يعني: لا يجوزُ لأحدٍ أن يحكمَ بعدم تقوى مسلمٍ فيحتقره، لأن التقوى محلُّها القلبُ، وما كان محلُّه القلب يكونُ مخفيًا عن أعينِ الناس . ويحتمل أن يكون معناه: محلُّ التقوى هو القلب، فمن كان في قلبه التقوى فلا يحقِرْ مسلمًا؛ لأن المُتَّقِيَ لا يَحْقِرُ المُسْلِمَ . ويحتمل معنى: أن التقوى في القلب فإذا اتقى القلب؛ اتقت الجوارح، وهذا كقوله ρ " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب" فإذا كان في قلب الإنسان تقوى لله عزّ وجلّ وخوفٌ منه وخشيه له، استقامت أعماله الظاهرة؛ لأن الأعمال الظاهرة تتبع القلب[2] .

- **قوله ρ (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)** الباء زائدة، أي: يكفيه من شر أخلاقه ويكفي في مذمته وعقوبته، **(أن يحقر أخاه)** أي: يحتكره ويذله ويستخف به، لأنه إنما يحتقر أخاه المسلم لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشر، لذا فإن هذا محرم لا يحل[3] .

- **قوله ρ (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)** كل المسلم: مبتدأ وحرام خبره، ودمه وما بعده بدل منه، وجعل هذه الثلاثةَ كُلَّ المسلم وحقيقَتَهُ لشدة اضطراره إليها. أما الدم: فلأن به حياته، والمال: مادة الدم، فهو مادة الحياة، والعرض: به قيام صورته المعنوية، واقتصر على هذه الثلاثة لأن ما سواها فرع عليها، وراجع إليها لأنه إذا قامت الصورة البدنية والمعنوية فلا حاجة إلى غير ذلك .

ومعنى كون هذه الثلاثة محرمة، أنه لايجوز التعدي على **"دم المسلم"** بقتل أو جرح أو غيرهما **" وماله"** فلا يؤخذ ماله لا غصباً، ولا سرقة، ولا خيانة، ولا دعوى ما ليس له، ولا غير ذلك بأي طريق، فلا يحل أخذ مال أخيك بغير حق فإنه حرامٌ عليك، **"وعرضه"** بأن لا تنتهك عرضه، وتتكلم فيه بين الناس، سواء كنت صادقاً فيما تقول أو كاذباً .

وقد وقع في هذا الحديث إضافة **"كل"** إلى المعرفة، وأنكره بعضهم، وقال: لا تضاف إلا إلى نكرة نحوﭐﱡ ﱠ القصص: ٨٨ ، والله عزَّ وجلَّ أعلم بالصواب[4] .

قال ابن رجب:"دمه وماله وعرضه هذا مما كان النبي ρ يخطب به في المجامع العظيمة، فإنه خطب به في حجة الوداع يوم النحر، ويوم عرفة، واليوم الثاني من أيام التشريق، وقال «إن

[1] ينظر: الفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيتمي (ص: 558-560) .
[2] ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، للمُظْهِري (5/ 216)، وشرح رياض الصالحين، للعثيمين (2/ 572) .
[3] ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني (8/ 158)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب (2/ 278) .
[4] ينظر: التعيين في شرح الأربعين، للطوفي (1/ 305)، وشرح رياض الصالحين، للعثيمين (2/ 574) .

أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[1]
.

سابعا: الفوائد المستنبطة من الحديث:

1-حرمة التحاسد والتناجش والبيع على البيع، وكلُّ ما يجلب العداوة والبغضاء بين المسلمين .

2- النهي عن تعاطي أسباب البغضاء، وكذا كلُّ ما يترتَّب على ذلك من تقاطع وتهاجر بين المسلمين .

3- قال ابن عبد البر -رحمه الله- :" وَلَا تَبَاغَضُوا" نهيٌ معناه الندب إلى رياضة النفس على التحاب، لأن المحبة والبغضة لا يكاد المرء يغلب فيهما نفسه ، لقول الله تعالىٱ □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □ □ الأنفال: ٦٣ ؛ وقال رسول اللهρ :" الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ[2] .

4- أن من حقوق المسلم على المسلم نصره إذا احتاج إليه ، سواء كان ذلك الأمر دنيويا مثل أن يقدر على دفع عدو يريد أن يبطش به ، فيجب عليه دفعه ، أو دينيا مثل أن يقدر على نصحه عن غيه بنحو وعظ فيجب عليه حينئذ النصح ، وتركه هو الخذلان المحرم .

3 - حثُّ المسلمين جميعاً على أن يكونوا إخوةً متحابِّين متآلفين .

5- أنَّ الأخوَّةَ بين المسلمين تقتضي إيصالَ الخير إليهم ودفع الضرر عنهم .

6- أنَّه يحرم على المسلم لأخيه ظلمه وخذلانه واحتقاره والكذب عليه .

7- بيان خطورة احتقار المسلم لأخيه، وأنَّ ذلك كافٍ للمحتقِر من الشرِّ، وإن لم يكن عنده شرٌّ سواه .

8- أنَّ الميزانَ في التفاضل بين الناس التقوى، كما قال تعالىٱ □ □ تن تى تي الحجرات: ١٣

9- أنَّ التقوى محلُّها القلب، كما في هذا الحديث، وكما في قوله تعالى: ٱ □ □ □ □ □ الحج: ٣٢

10- أنَّ التقوى في القلوب تظهر آثارُها على الجوارح، وبصلاح القلوب يصلح بقيَّة الجسد .

11- تحريم الاعتداء على المسلمين في دمائهم وأموالهم وأعراضهم[3] .

---

[1] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (2/ 279) .

[2] الاستذكار، لابن عبد البر (8/ 289) .

[3] فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، عبد المحسن العباد البدر (ص: 120) .

المحاضرة السادسة: حديث "إن الحلال بين وإن الحرام بيّن ..."

أولا: نص الحديث:

قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني حدثنا أبي حدثنا زكرياء عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعته يقول سمعت رسول الله ρ يقول وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه « إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ».

ثانيا: تخريج الحديث:

- رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الإيمان، بَابُ: فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم: 52 ، وكتاب البيوع، بَابٌ: الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، رقم: 2051 .
- ومسلم:كتاب: المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: 4178 .
- و أبو داود، في كتاب: البيوع، باب فِي اجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ، رقم: 3331 .
- و الترمذي: كتاب البيوع عن رسول الله ρ، باب: ما جاء في ترك الشبهات، رقم: 1205 .
- و النسائي، كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب رقم: 4453 ، وكتاب الأشربة، باب: الحث على ترك الشبهات رقم: 5710 .
- و ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب الوقوف عند الشبهات، رقم: 3984 .
- و أحمد في مسند النعمان بن بشير τ ، رقم: 18374 (30/ 324) .
- و أبو داود الطيالسي، في مسند النعمان بن بشير τ ، رقم: 825، (2/ 138) .

ثالثا: الفوائد الإسنادية:

1- توارد أكثر الأئمّة المخرّجين على إيراد هذا الحديث في كتاب البيوع , لأنّ الشّبهة في المعاملات تقع فيها كثيراً، وله تعلّقٌ أيضاً بالنّكاح وبالصّيد والذّبائح والأطعمة والأشربة وغير ذلك ممّا لا يخفى .

2- ادّعى أبو عمرو الدّانيّ: أنّ هذا الحديث لَم يروه عن النّبيّ ρ غير النّعمان بن بشير؛ قال ابن حجر:" فإن أراد من وجه صحيح فمُسلَّمٌ، وإلَّا فقد روّيناه من حديث ابن عمر وعمّار في "الأوسط" للطّبرانيّ، ومن حديث ابن عبّاس في "الكبير" له، ومن حديث واثلة في "التّرغيب" للأصبهانيّ، وفي أسانيدها مقال"[1]

شجرة الإسناد:

[1] فتح السلام شرح عمدة الأحكام من فتح الباري، جمع عبد السلام بن محمد العامر (7/ 196) .

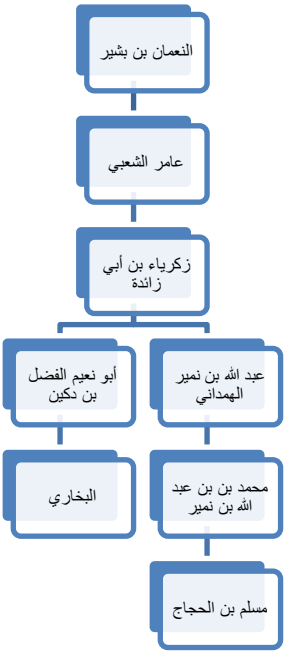

رابعا: ترجمة الرواة:

1 - **ترجمة الصحابي**: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجيّ، قال الواقديّ: كان أوّل مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرا . **روى عن** النّبي ρ وعن خالد بن عبد اللّه بن رواحة، وعمر وعائشة. **روى عنه** ابنه محمد، ومولاه سالم، وعروة، والشّعبي وآخرون. واستعمله معاوية عَلَى حمص، ثُمَّ عَلى الكوفة، واستعمله عليها بعده ابنه يزيد بن معاوية. لما مات معاوية بن يزيد دعا الناس إلى بيعة عبد الله بن الزبير بالشام، فخالفه أهل حمص، فخرج منها، فاتبعوه وقتلوه، سنة أربع وستين فِي ذي الحجة . كَانَ كريما جوادا شاعرا شجاعا من أخطب الناس[1] .

2- ترجمة الشعبي: هو عَامِر بن شراحيل، أَبُو عَمْرو الكوفي، أمه من سبي جلولاء، ولد لست سنين خلت من خلافة عُمَر بْن الخطاب، على المشهور . **رَوَى عَن**: أسامة بن زيد بن حارثة، والأشعث بْن قَيْس الكندي، وأنس بن مالك ، والبراء بن عازب . **رَوَى عَنه:** إِبْرَاهِيم بْن مهاجر، والأجلح بْن عَبد اللَّهِ الكندي، وأسماء بْن عُبَيد، وإسماعيل بْن أَبي خَالِد . **من أقواله:**" الرجال ثلاثة: رجل ونصف رجل، ولا شيء، فأما الرجل التام، فَهُوَ الَّذِي له رأي وهُوَ يستشير، وأما نصف رجل، فالذي لَيْسَ لَهُ رأي وهُوَ يستشير، وأما الَّذِي لا شيء، فالذي لَيْسَ لَهُ رأي ولا يستشير"، **قال يَحْيَى بْن بُكَيْر:**مَاتَ سنة ثلاث ومئة،وقيل ثلاث أو أربع[2].

3- ترجمة زكريا بن أبي زائدة: زَكَرِيَّا بن أبي زَائِدَة، اسْمه هُبَيْرَة أَبُو يحيى الْأَعْمَى مولى مُحَمَّد بن الْمُنْتَشِر الهمذاني الْكُوفِي أَخُو عمر وَعلي. **روى عَن** سعيد بن أَشوع وَمصْعَب بن شبيبة وَالشعْبِيّ وخَالِد بن مسلمة .

روى عَنهُ أَبُو أُسَامَة ووكيع وَابْنه يحيى وعبد الله بن نمير وَمُحَمّد بن بشر وَعِيسَى بن يُونُس وَعلي بن مسْهر .

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (6/ 347-346) .

[2] تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي (14/ 39-28) .

قَالَ أَبُو نعيم مَاتَ: سنة ثَمَان وَأَرْبَعين وَمِائَة [1] .

خامسا: منزلة الحديث عند العلماء:

- قال الكرماني: "أجمع العلماء على عِظَمِ موقع هذا الحديث، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث: "الأعمال بالنية"، وحديث: "مِن حُسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه"، وقال أبو داود السجستاني :يدور على أربعة أحاديث؛ هذه الثلاثة، وحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" [2] .

- قال ابن دقيق العيد: "هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة" [3] .

- قال تاج الدين الفاكهاني:" هذا الحديث أحدُ الأحاديث التي بُني عليها الدين، وهو أصلٌ في باب الورع والتحفُّظ، وتركِ الشبهات" [4] .

- قال عبد الله البسام:" وبالجملة؛ فهذا حديث عظيم جليل وقاعدة من قواعد الإسلام، وأصل من أصول الشريعة، عليه لوائح أنوار النبوة ساطعة، ومشكاة الرسالة مضيئة، فهو من جوامع كلم النبي ρ"[5].

سادسا: غريب الحديث:

{الحلال}: الحِلُّ بِالْكَسْرِ الحَلَال ضِدّ الْحَرَامِ[6] .

- **{بين}:** ظاهر[7] .

- **{المتشابه}:** ما احتمل الوجوه فلم يعرف بنفسه، وهو ما دار بين الحلال والحرام[8] .

- **{عرضه}:** نفسه وجسده، يقال: فلان طَيِّبُ العِرْضِ ومنتن العرض [9] .

- **{الْحمى}:** الْمَمْنُوع على غير صاحبه، وحميت الشَّيْء أحميه منعته وَهُوَ خلاف الْمُبَاح[10] .

- **{يرتع}:** من الرَّتْعُ: وهو الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ فِي الْخِصْبِ، رَتَعَتِ الْإِبِلُ إِذَا أَكَلَتْ مَا شَاءَتْ [11] .

- **{مضغة}:** المضغة بقدر ما يُمْضَغ[12] .

سابعا: شرح الحديث:

قوله ρ **(إن الحلال بَيِّنٌ)** لا اشتباه فيه ولا خفاء، **(وإن الحرام)** المحض **(بَيِّنٌ)** واضح، لا اشتباه فيه، وهو الممنوع شرعا لأن حكمه أن يُحرَمَهُ الإنسانُ، أي: يمنع منه حِسًّا، والحلال ضده . **(و)** لكن **(بينهما)**؛ أي: الحلال المحض والحرام المحض أمورٌ **(مشتبهاتٌ)** بوزن مفتَعِلات -بتاء مفتوحة وعين مكسورة-؛ أي: اكتسبت الشبهةَ من وجهين متعارضين، وفي

---

[1] ينظر: التعديل والتجريح , لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، سليمان بن خلف التجيبي (2/ 591)، ورجال صحيح مسلم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه (275/1- 227) .

[2] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (1/ 203) .

[3] شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص: 43) .

[4] رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لتاج الدين الفاكهاني (5/ 390) .

[5] تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ، للبسام (ص: 708) .

[6] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (1/ 429) .

[7] الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد، لعبد الله بن صالح المحسن (ص: 15) .

[8] غريب الحديث، للخطابي (2/ 452)، رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لتاج الدين الفاكهاني (5/ 390) .

[9] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، باب الضاد ، فصل العين مادة (عرض) (3/ 1091) .

[10] تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح الميورقي (ص: 279) .

[11] غريب الحديث، لإبراهيم الحربي (1/ 212) .

[12] غريب الحديث، لابن الجوزي (2/ 363) .

رواية: "مُشَبَّهات" بوزن مفعَّلات -بتشديد العين المهملة المفتوحة-؛ أي: شبهت بغيرها مما لا يتبين به حكمها على التعيين. وفي أخرى: "متشابهات" ؛ أي: ليست بواضحة الحِلِّ والحُرمة؛ لتعارض الأدلة، واختلاف العلماء. **(لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس)** وإنما يعلمها العلماء بنص أو قياس أو غيرهما من الأدلة، وهم بالنسبة لمن لا يعلمها قليل، فأكثرُ الناس أو كثير منهم تشتبه عليه، هل هي من الحلال، أم من الحرام؟ وأما الراسخون في العلم، فلا يشتبه عليهم ذلك، ويعلمون بالأدلة من أيِّ القسمين هي . **والحاصل:** أنه ρ قسم الأشياء إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الحلال المحض، مثل: أكل الطيبات من الزروع والثمار والأنعام، ولباس ما يحتاج إليه من القطن والكتان والصوف، وكالنكاح وغير ذلك، إذا كان اكتسابه بعقد صحيح؛ كالبيع، أو بميراث .

الثاني: الحرام المحض؛ كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وشرب الخمر، ونكاح المحارم، ولباس الحرير للرجال، ومثل الأكساب المحرمة؛ كالربا والميسر، وثمن ما لا يحل، وأخذ الأموال المغصوبة، ونحوها .

الثالث: المُشْتَبه؛ كأكل ما اختُلف في حله وتحريمه، إما من الأعيان؛ كالخيل والبغال والحمير والضب، وشرب ما اختُلف في تحريمه من الأنبذة التي لا يُسكر قليلها، ولُبسِ ما اختُلف في لبسه من جلود السباع ونحوها، وكذا ما استُفيد من المكاسب المختلَف في تحريمها؛ كمسألتي العينة والتورق، ونحو ذلك .

قوله ρ (فمَن اتَّقى الشُّبهاتِ استَبْرَأ لدِينِه وعِرْضه)، (اتقى) أي: حَذِرَ واجتَنَبَ **(استبرأ لدينه وعرضه)** أي: طلبَ الطهارةَ لدِينِه وعِرْضه، فسلم دينه مما يفسده أو ينقصه، وعرضه مما يشينه، و"العِرض" -بكسرِ العين- هنا: النَّفس، فهيَ مَحَلّ الذَّمِّ والمَدح مِنهُ، ولهُ مَحَامِلُ أُخَرُ في غير هذا الموضع . فمن لم يتق الشبهات المختلف فيها وانتهك حرمتها فقد أوجد السبيل على عرضه فيما رواه أو شهد به .

قوله ρ (ومن وقعَ في الشبهات، وقعَ في الحرام): يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يأكلَ حرامًا وهو يظنُّه حلالًا، والثاني: أن يقسوَ قلبُه بأكل الشُّبهاتِ، فإذا قسا قلبُه بأكل الشُّبهات يجترئ بأكل الحرام ولا يبالي[1] .

قوله ρ (كالراعي يرعى حول الحمى) في بعض الروايات: أن النبي ρ قال: "وسأضرب لك مثلًا"، وهذا يرجع إلى القسم الثالث، وهو المشتبهات، فيتجنَّبها الإنسانُ **(كالراعي يرعى)** ماشيته ودوابه **(حول)**؛ أي: جوانب **(الحمى)** وقربه الذي يحميه الملوك، ويمنعون غيرَهم من قربانه .

وقد جعل ρ حول مدينته اثني عشر ميلًا حمًى محرَّمًا، لا يُقطع شجرُه، ولا يُصاد صيدُه، وحمى عمرُ وعثمان τما أماكنَ ينبت فيها الكلأ لأجل إبل الصَّدقة، والله -سبحانه وتعالى- حمى هذه المحرمات، ومنع عباده من قُربانها، وسماها: حدودَه، فقال: ﭧﭨ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ البقرة: ١٨٧. **(يرتع فيه)** أي تأكل ماشيته منه .

[1] ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، للمُظْهري (3/ 388-387)، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام، لشمس الدين السفاريني (500/6- 501)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (3/ 199) .

قوله ρ "ألا وإن لكل مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ"، (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف تنبيه تدل على تحقق ما بعدها، و معناه: اعلم، يقال للواحد والأكثر، والمذكر والمؤنث، وبهذا اللفظ من غير تغيير؛ وهذا تشبيه للشاهد بالغائب، فشبه المكلف بالراعي، والنفس البهيمية بالأنعام، والمشبهات بما حول الحمى، والمحارم بالحمى، وتناول المشبهات بالرتع حول الحمى، ووجه التشبيه حصول العقاب بعدم الاحتراز عن ذلك، كما أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى إلى وقوعه في الحمى يستحقُّ أن يعذِّبَه ذلك المَلِكُ، فكذلك من أكثر من الشبهات وقع في الحرام، فاستحقَّ أن يعذَّبَه الله، لكن إن شاء عذَّبه أو غفرَ له .

قوله ρ (ألا وإن في الجسد مضغة) هي القطعة من اللحم؛ سميت بذلك لأنها تُمْضَغ في الفم لصغرها، قالوا: والمراد: تصغيرُ القلب بالنسبة إلى سائر الجسد **(إذا صلَحت)** تلك المضغة، **(صلَح الجسدُ كلُّه وإذا فسَدَتْ فسدَ الجسدُ كلُّه)** . قال أهل اللغة: يقال: صلَح وفسَد -بفتح اللام والسين وضمهما- والفتح أفصح وأشهر، **(ألا وهي)**؛ أي: تلك المضغة التي يصلح الجسد كله بصلاحها، ويفسد سائره بفسادها **(القلبُ)**، وهو الشكل الصَّنَوْبَرِيُّ في الجوف، أدقُّه إلى أسفل وأغلُظه إلى فوق، وسُمِّي القلبَ لتقلُّبه في الأمور، أو لأنه أخلص ما في البدن، وخالصُ كلِّ شيء فيه، أو لأنه وُضع في الجسد مقلوبًا، فصلاح حركات العبد بجوارحِه واجتنابه المحرمات، واتقائه الشبهات بحسب صلاح قلبه، فإن كان قلبه سليمًا، ليس فيه إلا محبة الله ومحبةُ ما يحبه وخشيةُ الله وخشية الوقوع فيما يكرهه؛ صَلَحت حركات الجوارح كلِّها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرمات كلِّها، وتوقّي الشبهاتِ حذرًا من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسدًا قد استولى عليه اتباعُ هواه، وطلبُ ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركاتُ الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والشبهات بحسب هوى القلب، ولهذا يقال: القلبُ ملك الأعضاء، وبقيةُ الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان المِلِكُ صالحًا، كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدًا، كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلبُ السليم كما قال تعالى: ﴿ ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩ ، وكان من دعائه ρ "أسألك قلبًا سليمًا"، فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهاتِ كلِّها، وهو الذي ليس فيه سوى محبةِ الله، وما يحبُّه الله، وخشيةُ الله، وخشيةُ ما يباعد منه[1] .

ثامنا: الفوائد المستنبطة من الحديث:

1- الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام والشبهات .

2- الاشتباه أمر نسبي ليس بمطلق فلا يقع الاشتباه لجميع الناس ولكن يقع لكثير منهم .

3- ينبغي للمسلم أن يتقي ما يشتبه عليه ليحفظ دينه من الوقوع في الحرام ومروءته الإنسانية من الطعن .

4- في الحديث دليل على قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الوقوع في المحرمات وتحريم الوسائل إليها ، وكذلك يدل على اعتبار قاعدة " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح " .

---

[1] ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، لشمس الدين السفاريني (6/ 510- 511)، والمفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري (3/ 388)، وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، لمحمد الخضر الشنقيطي (2/ 383) .

5- حكم معاملة من في ماله حلال وحرام مختلط على أحوال :
- أن يكون الحرام أكثر ماله، فهذا مكروه قال الإمام أحمد " ينبغي أن يتجنبه إلا أن يكون شيئا يسيرا أو شيئا لا يعرف ". أما إذا علم تحريم شيء بعينه فيحرم عليه تناوله إجماعا كما حكاه ابن عبد البر وغيره .
- أن يكون الحلال أكثر ماله ويغلب عليه فيجوز معاملته والأكل من ماله بلا حرج ، وقد كان النبي ρ وأصحابه يعاملون المشركين وأهل الكتاب مع علمهم بأنهم لا يجتنبون الحرام كله .
- أن يشتبه الأمر فلا يعرف أيهما أكثر الحلال أم الحرام فهذا شبهة والورع تركه قال سفيان " لا يعجبني ذلك وتركه أعجب إليّ "، ونص أحمد على جواز الأكل مما فيه شبهة ولا يعلم تحريمه .
6- الحديث يدل على عظم القلب وأهميته .
7- يستفاد من الحديث أن موقف الناس تجاه الشبهات على أقسام:
1- من يتقي هذه الشبهات لاشتباهها عليه فهذا قد استبرأ لدينه وعرضه .
2- من يقع في الشبهات فهذا قد عرض نفسه للوقوع في الحرام .
3- من كان عالما بحكمها واتبع ما دله علمه فيها ولم يذكره النبي ρ لظهور حكمه وهذا القسم هو أفضل الأقسام الثلاثة لأنه علم حكم الله في هذه المشتبهات وعمل بعلمه .
8- إن اختيار طيب الكسب يدلك على صلاح القلب .
9- جواز ضرب الأمثال من أجل تبيين الأمر ليقرب فهمه[1] .

[1] الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد، لعبد المحسن العباد (ص: 16)، و مقال بعنوان: خالد بن سعود البليهد، بعنوان: شرح حديث (الحلال بين والحرام بين) .

المحاضرة السابعة: حديث "ما نَهَيتُكُمْ عَنْهُ، فاجْتَنِبوهُ...".

أولا: نص الحديث:

قال الإمام مسلم: حدثني حرملة بن يحيى التجيبي أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب قالا كان أبو هريرة يحدث أنه سمع رسول الله ρ يقول « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » .

ثانيا: تخريج الحديث:

- رواه البخاري، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ρ، رقم: 6858 .

- ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ρ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك. رقم: 6259 .

-والنسائي في كتاب الحج، باب: وجوب الحج ، رقم: 3598 .

-وأحمد في مسند أبي هريرة، برقم، 7492 ، (ج7/ص 293) .

شجرة الإسناد

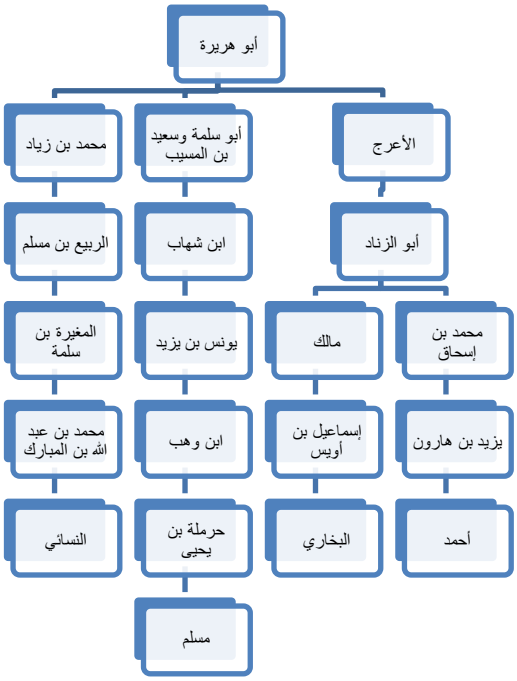

ثالثا: ترجمة الرواة:

أولا: ترجمة الصحابي أبي هريرة τ: سبقت ترجمته في الحديث الثاني .

ثانيا: ترجمة التابعيين:

1- **سعيد بن المسيب:** بن حزن مدني ثقة سيد التابعين من كبار الثانية وكان أعورا، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطابτ، كان رجلا صالحا فقيها وكان أبوه صحابيا، كان تاجرا في الزيت لا يأخذ العطاء، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، **روى عن** أبي بن كعب وأنس

بن مالك من طريق ضعيف والبراء بن عازب،وقال بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه،مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين[1].

2- أبو سلمة بن عبد الرحمن: بن عوف الزهري مدني ثقة مكثر من كبار التابعين، كان مولده سنة بضع وعشرين، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة على أحد الأقوال، **روى عن** أسامة بن زيد وأنس وثوبان مولى رسول الله ρ وجابر بن عبد الله τم، **وروى عنه** ابنه عمر وأولاد إخوته والأعرج والزهري وغيرهم. قال ابن سعد: توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد وهو بن اثنتين وسبعين سنة [2] .

رابعا: سبب ورود الحديث:

وردت رواية في صحيح مسلم يؤخذ منها سبب ورود الحديث وهي: عن أبى هريرة τ قال خطبنا رسول الله ρ فقال « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا »، فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله ρ : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم - ثم قال - ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه »[3] . والسائل هو الأقرع بن حابس كما قال ابن الملقن .

خامسا: منزلة الحديث عند العلماء:

- **قال أبو داود:** «الفقه يدور على خمسة أحاديث ... و «وما نهيتكم عنه فانتهوا...»[4] .

- **قال النووي**:" هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ρ ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام"[5] .

- **قال ابن الملقن:"** هذا الحديث أحدُ قواعِدِ الإسلام المُهِمَّةِ، ومِمَّا أوتيه -عليه أفضلُ الصلاة والسلام- مِنْ جَوَامِعِ الكلمِ الجَمَّةِ؛ فإنَّهُ يدخُلُ فيه مَا لا يُحْصَى مِنَ الأحكام"[6] .

- **قال ابن حجر الهيتمي:"**وهو حديث عظيم من قواعد الدين وأركان الإسلام،فينبغي حفظه والاعتناء به"[7].

سادسا: غريب الحديث:

{ما نهيتكم} : أي منعتكم، والنهي: هو طلب الكف عن فعل الشيء على وجه الاستعلاء .

{ما أمرتكم} : أي ما طلبت منكم أن تفعلوه، والأمر: هو طلب فعل الشيء .

{فاجتنبوه} : باعدوا منه حتما في المحرم ، وندبا في المكروه .

{فافعلوا منه} : وجوبا في الواجب ، وندبا في المندوب .

{ما استطعتم} : ما أطقتم، و قدرتم عليه دون مشقة .

---

[1] ينظر: الثقات، للعجلي (1/ 405)، وتهذيب الكمال، للمزي (11/ 67)، وتقريب التهذيب، لابن حجر (ص: 388) .

[2] ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص: 155)، وتهذيب الكمال، للمزي (370/33- 371)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (12/ 104)، وتهذيب الأسماء ، للنووي(ص: 824) .

[3] رواه مسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم: 3321 .

[4] رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لتاج الدين الفاكهاني (1/ 18) .

[5] شرح النووي على مسلم (9/ 102) .

[6] المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن (ص: 181) .

[7] الفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيتمي (ص: 277) .

{أهلك}: أوجب العقوبة في الدنيا والآخرة .
{كثرة مسائلهم} : أسئلتهم الكثيرة .
{واختلافهم على أنبيائهم}: مخالفتهم لأنبيائهم، وعصيانهم لهم . وهي تستلزم اختلاف الأمة فيما بينها[1] .

سابعا: شرح الحديث:

- قوله ρ (مانهيتكم عنه فاجتنبوه) "ما" في قوله "نهيتكم" و"أمرتكم" شرطية، والجواب: "فاجتنبوه،فافعلوا"

ومعنى (مانهيتكم عنه فاجتنبوه) أي ابتعدوا عنه، فكونوا في جانب وهو في جانب، **و**النهي الذي يجب اجتنابه ما كان للتحريم، أما ما كان للكراهة فيجوز فعله، وتركه أولى من فعله .

ولم يقل في النهي: **"ما استطعتم"** لأن النهي طلب كف النفس، وهو مقدور لكل أحد، فكل أحد يقدر على ترك جميع ما نهى الله عنه ورسوله، لأن الحلال واسع للخلق في عباداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم، وأما بعض الجزئيات من النواهي التي يتأتى تركها فقد جاءت النصوص بالرخصة فيها، مثل الرخصة في ارتكاب أخف الضررين، وأكل الميتة ولحم الخنزير، فإنه في هذه الحالة الملجئة يصير من جنس الحلال; لأن الضرورات تبيح المحظورات، فهو تعالى إنما حرم المحرمات حفظا لعباده، وصيانة لهم عن الشرور والمفاسد، ومصلحة لهم، فإذا قاوم ذلك مصلحة أعظم -كبقاء النفس- قدمت هذه على تلك رحمة من الله وإحسانا .

ولتأكيد أمر النهي قالρ **(فاجتنبوه)** بدلاً من (فاتركوه)؛ لأن الترك قد يكون بعد فعل، وقد يكون بمجرد الكف، أما **(اجتنبوه)** فمعناها: أن تكون أنت في جانب والمنهي عنه في جانب آخر، وبينكما مسافة بعيدة[2] .

- قوله ρ (وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم) وهذا أصل كبير، دل عليه قوله تعالى: ﴿ ﷺ ﷻ التغابن: ١٦ ، فأوامر الشريعة كلها معلقة بقدرة العبد واستطاعته، فإذا لم يقدر على واجب من الواجبات بالكلية، سقط عنه وجوبه، وإذا قدر على بعضه -وذلك البعض عبادة- وجب ما يقدر عليه منه، وسقط عنه ما يعجز عنه. فمثلا: إذا لم يستطع أن يصلي قائماً صلَّى جالساً، وإذا لم يستطع الإتيان بالواجب كاملاً أتى بما يقدر عليه منه، فإذا لَم يكن عنده من الماء ما يكفي للوضوء توضَّأ بما عنده وتيَمَّم للباقي .

والفرق بين (فَاجْتَنِبُوهُ) و **(ما استطعتم)** في الأوامر والنواهي: أن النهي كف وكل إنسان يستطيعه، وأما المأمورات فإيجاد قد يستطاع وقد لا يستطاع، فالتعبير النبوي تعبير دقيق .

ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله: يؤخذ من الحديث أن النهي أشد من الأمر؛ لأنه لم يرخص في شي منه، والأمر مقيدٌ بالاستطاعة، وقريبٌ من هذا قول بعضهم: أعمال البِرّ يعملها البارُّ والفاجر، والمعاصي لا يتركها إلا صدِّيق[3] .

---

[1] الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب، لعبد الله المحسن (ص: 21)، والتحفة الربانية شرح الأربعين النووية، لإسماعيل بن محمد السعدي (10/ 1) .

[2] ينظر: شرح الأربعين النووية، لعطية سالم (29/ 11)، وبهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي (ص: 165) .

[3] ينظر: الفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيتمي (ص: 275)، وشرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 134)، وبهجة قلوب الأبرار، للسعدي (ص: 166) .

- **قوله ρ" فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم..." المناسبة في قوله:** (أهلك من كان قبلكم ...) مع قوله: (اجتنبوه وافعلوا ما استطعتم)؟ هي سبب ورود الحديث كما ذكر سابقا[1] .

ومعنى قوله (فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم) أي من أسباب هلاك الأمم قبلكم؛ وهم اليهود والنصارى وغيرهم، مع أن الظاهر المتبادر أنهم اليهود والنصارى، كما قال الله عزّ وجل:ُّ ً المائدة: ٥، واليهود أشدّ في كثرة المساءلة التي يهلكون بها، ولذلك لما قال لهم موسى υ ُّ البقرة: ٦٧ جعلوا يسألون: ما هي؟ وما لونها؟ وما عملها؟ .

وقوله ρ **(كثرة مَسَائِلِهِمْ)** جمع مسألة وهي: ما يُسأل عنه. والمنهيُّ عنه ما كان من المسائل في زمنه يترتَّب عليه تحريم شيء على الناس بسبب مسألته، وما يترتَّب عليه إيجاب شيء فيه مشقَّة كبيرة وقد لا يُستطاع، كالحجِّ كلَّ عام، والمنهيُّ عنه بعد زمنه ما كان فيه تكلُّف وتنطُّع واشتغال به عمَّا هو أهم منه[2]، ولذلك نهى النبي ρعن قيلٍ وقال وكثرة السؤال، ونهى عن الأغلوطات، التي فسرها الأوزاعي أنها "شداد المسائل" .

وهناك سبب آخر في النهي عن كثرة السؤال وهو الذي أشار إليه ابن عباس في قوله: "ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه" . ومعناه: أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لابد أن يبينه الله في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسوله عنه، فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال، كما قال:ُّ تنَّ النساء: ١٧٦ . و قال ابن عباس τ (إن هذه الأمة أقل الأمم سؤالاً، ما سألت إلا اثني عشر سؤالاً، وكلها جاء الجواب عنها)، وقد فهم الصحابة τم ذلك فكفوا عن السؤال إلا فيما لا بد منه، وكان يعجبهم أن يجيء الأعراب يسألون رسول الله ρ فيسمعون ويعون .

- **<u>فائدة</u>:** انقسم الناس في باب السؤال إلى أقسام: فمنهم مَنْ سدَّ بابها حتى قلَّ فهمه وعلمه بحدود ما أنزل اللَّه، وصار حامل فقهٍ غير فقيه، ومنهم من توسَّع في البحث عما لم يقع، واشتغلوا بتكلُّف الجواب عنه، وكثرة الخصومة فيه والجدال عليه؛ حتى تفرقت قلوبهم، واستغرقها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرًا بنية المغالبة وطلب العلو والمباهاة وصرف وجوه الناس إليهم؛ وهذا مما ذمَّه العلماء، ودلَّتِ السُّنَّةُ على قبحه وتحريمه كما مر. وأما فقهاء الحديث العاملون به؛ فوجَّهوا همَّتهم إلى البحث عن معاني القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين ومسائل الحلال والحرام، وأصول السُّنة والزهد والرقائق، ونحو ذلك مما فيه صفاء القلوب، والإخلاص لعلام الغيوب، جعلنا اللَّه تعالى منهم بمنه وكرمه[3] .

وقوله ρ **(واخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)** يعني: وأهلكهم اختلافُهم، ويجوز فيها أن تكون: وكثرة اختلافِهم على أنبيائهم، وكلاهما صحيح، فإذا قلنا: أن السبب في هلاكهم مجرد الاختلاف على الأنبياء ولو كان قليلاً، قلنا العطف على المضاف "كثرة" فتكون الفاء من "اختلافُهم" بالضم،

---

[1] شرح الأربعين النووية، لعطية سالم (30/ 3) .

[2] ينظر: فتح القوي المتين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفي (ص: 51)، وشرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: 134) .

[3] ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (1/ 243)، والفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيتمي (ص: 277) .

وإذا قلنا: إن السبب في هلاكهم كثرة اختلافهم على أنبيائهم, قلنا: الفاء من "اختلافهم" مكسورة، والعطف على نية تكرار العامل؛ فكأنه قال: كثرة مسائلهم وكثرة اختلافهم، والعطف على المضاف أولى؛ لأن الاختلاف على الأنبياء شر، قليله وكثيره .

والمقصود بالاختلاف المهلك هنا هو النزاع والشقاق المورث للفشل, الذي لا يستند إلى أصل ولا يقصد به وجه الله والوصول إلى الحق، أما مجرد اختلاف الفهوم في فهم النصوص الخالي من الهوى والتعصب لفلان أو لعلان أو لرأي أو لنفس، فإن هذا لا يدخل هنا[1] .

ثامنا: الفوائد المستنبطة من الحديث:

1- وجوب ترك كلِّ ما حرَّمه الله ورسول الله ρ .

2- من صيغ النهي (لا تفعل)، وتنقسم هذه الصيغة في دلالة النصوص الشرعية إلى قسمين:

- نهي تحريم: وهو كل ما نهى الشرع عن فعله على سبيل الإلزام كالنهي عن الزنا والربا والغيبة .

- نهي كراهة: وهو كل ما نهى الشرع عنه فعله تنزيها كالنهي عن فرقعة الأصابع وتشبيكها في الصلاة .

3- وجوب الإتيان بكلِّ ما أوجبه الله ورسوله ρ .

4- لا ينبغي للإنسان أنه كلما سمع أمر الرسول ρ أن يقول: هل هو واجب أم مستحبّ؟ لقوله: "فَأْتُوا مِنْهُ مَا استَطَعْتُمْ" ولا تستفصل، فأنت عبد منقاد لأمر الله عزّ وجلّ .

5- أنَّ مَن عجز عن بعض المأمور كفاه أن يأتي بما قدر عليه منه، فلا يجب على الإنسان أكثر مِمَّا يستطيع .

6- استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن اجتناب المحرمات أفضل من فعل المأمورات لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه والأمر قيِّد بحسب الاستطاعة. والصحيح أن ما ورد محمول على تفضيل ترك المحرمات على نوافل الطاعات؛ أما جنس الواجبات فأفضل من جنس ترك المحرمات، ومن أدلة ذلك: مافي صحيح البخاري قال رسول الله ρ(قال الله عز وجل ما تقرب عبدي إلي بشي أحب مما افترضته عليه). ولأن الفرائض مقصودة لذاتها والمحرمات مطلوب عدمها، ولذلك لا تحتاج إلى نية بخلاف الأعمال .

7- تحذير هذه الأمة من مخالفة نبيها، كما وقع في الأمم التي قبلها .

8- التحذير من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب مِمَّا كان سبباً في هلاكهم .

9- النهي عن كثرة السؤال؛ وقد قسم العلماء السؤال إلى قسمين:

أحدهما: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين، فهذا مأمور به لقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡـَٔلُواْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٧ ، وعلى هذا النوع تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة .

والثاني: ما كان على وجه التعنت والتكلف وهذا هو المنهي عنه .

10- كثرة الاختلاف على الأنبياء من أسباب الهلاك، كما هلك بذلك مَن كان قبلنا .

---

[1] شرح الأربعين النووية، لعبد الكريم الخضير (9/ 20) .

11- أن الإنسان له استطاعة وقدرة، لقوله: (مَا استَطَعْتُمْ) فيكون فيه رد على الجبرية الذين يقولون إن الإنسان لا استطاعة له، لأنه مجبر على عمله .

12- في الحديث إشارة عظيمة إلى أن موقف المؤمن الصحيح تجاه الشرع هو الاشتغال بامتثال الأوامر واجتناب النواهي والعناية بالعمل والإعراض عن كثرة المسائل والجدل[1] .

[1] ينظر: فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، لعبد المحسن العباد (ص: 53)، والتحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية، لإسماعيل بن محمد السعدي (ص: 26)، وشرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: 137)، ومقال بعنوان: شرح حديث (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه)، لخالد بن سعود البليهد .

المحاضرة الثامنة: الحديث القدسي: "يا عِبادي إنّي حَرَّمْتُ الظّلمَ على نَفسي...".

أولا: نص الحديث:

قال الإمام مسلم: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي حدثنا مروان - يعنى ابن محمد الدمشقي - حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس الخولاني عن أبى ذر عن النبي ρ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه ». قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

ثانيا: تخريج الحديث:

- رواه مسلم في كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، رقم: 2577 .
- والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الغصب، باب تحريم الغصب وأخذ أموال الناس بغير حق،رقم: 11503. ورواه في شعب الإيمان، في الباب السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ، وَهُوَ بَابٌ فِي مُعَالَجَةِ كُلِّ ذَنْبٍ بِالتَّوْبَةِ.

شجرة الإسناد:

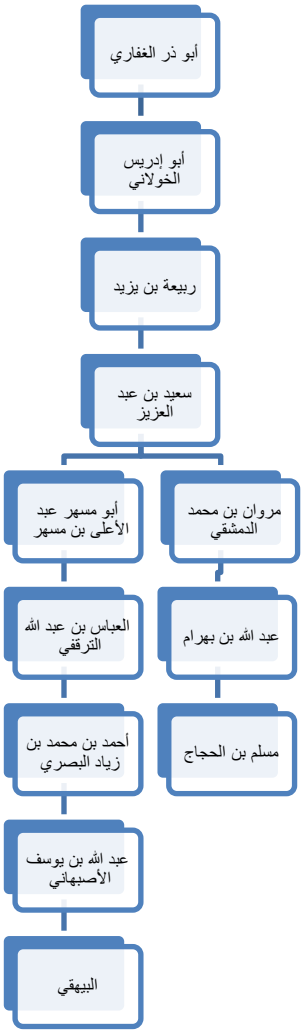

ثالثا: ترجمة الرواة:

1 - **ترجمة الصحابي:** أبو ذر الغفاري τ: ويقال أَبُو الذر، واسمه جندب بن جنادة،كَانَ من كبار الصحابة، ومن السابقين إلى الإسلام، وقصة إسلامه في الصحيحين، يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامسًا، وتوفي أَبُو ذر τ بالربذة سنة إحدى وثلاثين أَوِ اثنتين وثلاثين، وصلى عَلَيْهِ ابْن مَسْعُودٍ، ثم مات τ بعده فِي ذلك العام. قَالَ فيه علي τ: "وعى أَبُو ذر علمًا عجز الناس عنه، ثم أوكأ عَلَيْهِ، فلم يخرج شَيْئًا منه"، وَقَالَ أَبُو ذر: "لقد تركنا رسول الله ρ وما يحرّك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرناه منه علمًا"[1] .

2-ترجمة التابعي: هو عايذ الله بن عبد الله أَبُو إِدْرِيس الْخَولَانِيّ، دمشقي تَابِعِيّ ثِقَة، ولد يَوْم حنين، قَالَ فيه مَكْحُول: "مَا رَأَيْت أعلم مِنْهُ"، **روى عن** عمر بن الخطاب وأبي الدرداء وأبي ذر وأبي هريرة وغيرهم، **وروى عنه** الزهري وربيعة بن يزيد وعبد الله بن ربيعة بن يزيد والقاسم بن محمد ومكحول وشهر بن حوشب، ولاّه عبد الملك القضاء بعد عزل بلال بن أبي الدرداء، توفي سنة ثمانين للهجرة [2] .

رابعا: منزلة الحديث عند العلماء:

---

[1] ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (4/1652- 1655)، وأسد الغابة، لابن الأثير (5/ 99- 101)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (7/ 109-105) .

[2] الثقات، للعجلي (ص: 246) وتهذيب التهذيب، لابن حجر (5/ 85)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي (ص: 26) .

-قال الإمام أحمد بن حنبل: "ليسَ لأَهْلِ الشَّامِ حَدِيثٌ أَشْرَفَ مِنهُ" "، وكان أَنَّ أَبَو إِدْرِيس – راوي الحديث- إِذَا حَدَّثَ بهذا الحدِيث جَثَا على رُكبَتَيْهِ"[1] .

- قال النووي:"... ومنها ما اشتمل عليه من البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه والآداب ولطائف القلوب وغيرها"[2] .

- قال ابن تيمية :"وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ تَضَمَّنَ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ الْعَظِيمَةِ فِي الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، فَإِنَّ تِلْكَ الْجُمْلَةَ الْأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُ: «حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» تَتَضَمَّنُ جُلَّ مَسَائِلِ الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ إذَا أُعْطِيت حَقَّهَا مِنْ التَّفْسِيرِ"[3] .

- قال ابن عثيمين :" فهذا الحديث حديث عظيم، تناوله العلماء بالشرح واستنباط الفوائد والأحكام منه، وممن أفرد له مؤلفاً: شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، فإنه شرح هذا الحديث في كتاب مستقل"[4] .

خامسا: غريب الحديث:

-**{الظلم}:** أصلُ الظُّلم: وضعُ الشَّيءِ في غير موضِعِهِ، وأخذه من غير وجهه [5] .

-**{ضال}:** الضّلالُ والضَّلاَلَةُ ضد الهُدَى والرشاد، والضال: كل من ينحرف عن دين الله الحنيف[6] .

-**{صعيد}:** الصعيد وجه الأرض والتراب، وفيه خلاف هل يشترط أن يكون على الأرض تراب أو لا [7] .

-**{المخيط}:** والمِخْيَط من كلّ شيء: ما خِيط به، وهي آلة الخياطة كالإبرة ونحوها[8] .

-**{أحصيها لكم}:** الإحصاء هو العد والحفظ، والمعنى: أضبطها تماماً بالعدّ لا زيادة ولا نقصان [9] .

-**{أوفيكم إياها}:** التوفية إعطاء الحق على التمام [10] .

سادسا: شرح الحديث:

قوله Y (يا عبادي)، النداء نداء تشريف، والخطاب للمكلفين والمراد هنا الثقلان بدلالة قوله "إنسكم وجنكم"، والنداء يتناول أيضا النساء إجماعا بقرينه التكليف[11] .

قوله Y (حرمت الظلم على نفسي ...)؛ النفس هنا بمعنى ذاته عزّ وجل، كما قال تعالى:ُّ ٍ ٌ يمَّ آل عمران: ٣٠ ، والمعنى: تَقَدَّست وَتَعالَيت أن أظلم أحدًا؛ لا بزيادة سيئات لم

---

[1] المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن (ص: 287)

[2] الأذكار، للنووي (ص: 635) .

[3] الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (1/ 90) .

[4] شرح رياض الصالحين، للعثيمين (2/ 137) .

[5] المعين على تفهم الأربعين ، ابن الملقن (ص: 377) .

[6] ينظر: لسان العرب، لابن منظور، حرف اللام مادة (ضلل) (11/ 390)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الضاد(1/ 543) .

[7] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الصاد (1/ 514) .

[8] المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الخاء (1/ 265) .

[9] لسان العرب، لابن منظور، باب حرف الواو والياء مادة (حصى) (14/ 183)، وشرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: 242) .

[10] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الملا الهروي (8/ 168) .

[11] التعيين في شرح الأربعين، الطوفي (1/ 188) .

يعملها، ولا بنقص حسنات عملها، بل هو -سبحانه وتعالى- حكم عدل محسن، فحكمه وثوابه لعباده دائر بين فضل لمن عمل الحسنات، وعدل لمن عمل السيئات، وليس هناك شيء ثالث وهو الظلم، وذلك مع المَكَانَةِ والقُدْرَةِ عليه وهذا أمدح في حقه سبحانه عجز عنه[1]. **(وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)** "جعلته" هنا هو الجعل الشرعي، ومعناه: جعلته جعلاً شرعياً لا كونياً، لأن الظلم يقع كونا، **و"تظالموا"** أصله تتظالموا؛ حذفت إحدى التاءين تخفيفا، والمعنى: حرمته عليكم ومنعتكم منه شرعا، **و**الظلم بالنسبة للعباد فيما بينهم يكون في ثلاثة أشياء بينها رسول الله ρ في حجة الوداع فقال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام" [2] .

- قوله Y (يا عبادي كلّكم ضَالّ إلاَّ مَن هَديته...)، أي: تائه عن الطريق المستقيم إلا من علمته ووفقته، فعلمته هداية الإرشاد ووفقته هداية التوفيق، **وهنا إشكال في ظاهر الحديث وهو** أنّ الناسَ على الضلال يخلقون إلاَّ مَن هداه سبحانه مع أنه ذكر في حديث عياض بن حمارτ أنهم على الفِطرة يولدون (يقول الله عز وجل: خلقت عبادي حُنفاء وفي رواية: مسلمين فاجتالتهم)، فالجواب: أن المراد ها هنا وصفهم بما كانوا عليه قَبل بعثةِ النبيء ρ إليهم، أو أنهّم إن تركوا وما في طباعهم من إيثار الراحة وإهمال النظر ضَلّوا إلاَّ مَن هداه الله سبحانه [3]. **(فاستهدوني)** أي اطلبوا الهداية **(أهدكم)** إذ لا هادي إلا الله ولولا الله ما اهتدينا، فهذا يشمل طلب الهدايتين (التوفيق والإرشاد)[4] .

- قوله Y (يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ...) يعني أنه خلق الخلق كلهم ذوي فقر إلى الطعام فكل طاعم جائع حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التي هيأها له، **(فاستطعموني أطعمكم)** أي: سلوني واطلبوا مني الطعام **(أطعمكم)** أي: أيسر لكم أسباب تحصيله، فهو سبحانه الذي يسخر السحاب لبعض الأماكن، ويحرّك قلب فلان لإعطاء فلان . وفي هذا تأديب للفقراء كأنه قال: لا تطلبوا النعمة من غيري فإن من تستطعمونهم أنا الذي أطعمهم فاستطعموني أطعمكم[5] .

- قوله Y "يَاعِبَادِي كُلُّكُم عَارٍ" فكلنا عار، لأننا خرجنا من بطون أمهاتنا عراة. **(إلاّ مَنْ كَسَوتُهُ فَاستَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)** سواء كان من فعل الإنسان كالكبير يشتري الثوب، أو من فعل غيره كالصغير يُشترى له الثوب، ويمكن أن يقال إن اللباس: يشمل لباس الدين كما قال تعالى: ﴿ بى بي ﴾ الأعراف: ٢٦، فتطلب كسوة الجسد الحسيّة، وكسوة الروح المعنوية. فنحن محتاجون إلى كسوة تستر عورتنا حساً، كما أننا محتاجون إلى عمل صالح يستر عورتنا معنى، وقال بعض المعبرين للرؤيا إذا رأى الإنسان نفسه في المنام عارياً فإنه يحتاج إلى كثرة الاستغفار، لنقصان تقواه، فإن التقوى لباس .

---

[1] ينظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري (3/ 290)، والمعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن (ص: 291)، وشرح رياض الصالحين، للعثيمين (2/ 116).

[2] ينظر: التعيين في شرح الأربعين، للطوفي(1/ 185)، وشرح رياض الصالحين، للعثيمين (2/116- 117) .

[3] ينظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري (3/ 291)، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب (2/ 39)، وشرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: 239) .

[4] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لنور الدين الملا الهروي (8/ 163) .

[5] ينظر: شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص: 89) ، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي (1/ 405) .

وهاتان الجملتان الخاصتان (بالجوع والعرى) ذكرهما الله -عز وجل- بعد أن ذكر الهداية، لأن في الهداية غذاء القلب بالعلم والإيمان، والجوارح بالعمل الصالح[1] .

- **قوله Y(يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار...)** أي: تصدر منكم الخطيئة ليلًا ونهارا، من بعضكم ليلا، ومن بعضكم نهارا، وليس كل عبد يخطئ بالليل والنهار مع أنَّه غير ممتنع، فيجوز أن يكون مرادًا .

والباء في قوله **(بِاللَّيْلِ)** بمعنى: (في) كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ الصافات: ١٣٧ – ١٣٨، أي وفي الليل. **(وأنا أغفر الذنوب جميعًا)** هو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ الزمر: ٥٣ وهو عام مخصوص بالشرك وما شاء الله عزَّ وجلَّ أن لا يغفره، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ﴾ النساء: ٤٨،

(فاستغفروني) أي: اطلبوا مني المغفرة، **(أغفر لكم)** أصل الغفر: الستر، وغفرت المتاع سترته، والمِغفَر: وقاية تستر الرأس في الحرب، وغفر الذنب ستره ومحو أثره وأمن عاقبته، وجاء في الحديث "لو أنكم لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم فيذنبون فيستغفرون فيغفر لهم"[2].

ولكن طلب المغفرة ليس مجرد أن يقول الإنسان: اللهم اغفر لي، بل لابد من توبة صادقة يتوب بها الإنسان إلى الله عز وجل، وهي التي تجمع خمسة شروط: الإخلاص والندم والإقلاع عن الذنب، العزم على عدم العودة في المستقبل، وأن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه .

- **قوله Y (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم و إنسكم...)، (إنسكم)** سموا بذلك لظهورهم أو أنهم يؤنسون، **(وجنكم)** سموا به لاجتنانهم أي اختفائهم، **(كانوا على أتقى قلب رجل)**؛ يعني: كانوا على غاية التقوى، **(ما زاد ذلك في ملكي شيئاً)** لأن ملكه عزّ وجل واسع لكل شيء، فلا يعود نفع ذلك إلى الله بل نفعه قاصر على فاعله . **قوله Y (أفجر قلب رجل واحد ...)** أي: على صورته، قيل: إن المراد إبليس، **(ما نقص ذلك)** العصيان **(من)** كمال **(ملكي شيئاً)** فملكه تعالى على غاية الكمال لا ينقص بمعصية العباد، لأنه تعالى الغنيّ المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، الكامل فلا نقص يلحقه بوجه .

- **قوله Y (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم و إنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ...)** أي: أرض واحدة ومقام واحد **(فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته)** أي: إعطاء كل سائل مسئوله **(ما نقص ذلك مما عندي)** من الخزائن الإلهية **(إلا كما ينقص المخيط)** هو بكسر فسكون ففتح: الإبرة **(إذا أدخل البحر)** وهو في رأي العين لا ينقص شيئاً من البحر، فكذا الإعطاء من الخزائن الإلهية لا ينقصها شيئاً البتة، لأنها من رحمته وكرمه، والنقص مما لا يتناهى محال بخلاف مما يتناهى[3] .

- **قوله Y (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم)** أي ما هي إلا أعمالكم أضبطها تماماً بالعدّ لا زيادة ولا نقصان، لأنهم كانوا في الجاهلية لا يعرفون الحساب فيضبطون الأعداد بالحصى،

---

[1] شرح رياض الصالحين، للعثيمين (2/129- 130) .

[2] التعيين في شرح الأربعين، للطوفي (1/188- 189) .

[3] ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري (3/ 174)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان الصديقي (1/335و 408) .

والإحصاء إنما يكون من الحفظة، فإن قيل: ما الحاجة إلى الحفظة مع علمه ؟ قيل: ليكونوا شهودا بين الخالق وخلقه، ولهذا يقال لبعض الناس يوم القيامة: "كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودا"، وقيل غير ذلك. **(ثم أوفيكم إياها)** أي: جزاءها وثوابها؛ والتوفية قد تكون في الدنيا والآخرة أو في الآخرة فقط للمؤمن

، وقد تكون في الدنيا فقط دون الآخرة للكافر ؛ قال الله تعالى: ﭐﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □

□ □نى ني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ □ بج ٌّ الشورى: ٢٠، **(فمن وجد خيرًا فليحمد الله...)** فيجب حمد الله على التوفيق للطاعات التي يترتب عليها الثواب، وأما المعاصي فهي بكسب العبد فليلم نفسه لتفريطه بالكسب القبيح الذي يترتب عليه العقاب . **(ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)** أكد ذلك بالنون، تحذيراً أن يخطر في قلب عامل أن اللوم تستحقه غير نفسه [1] .

سابعا: الفوائد المستنبطة من الحديث:

1- هذا النوع من الأحاديث يقال له الحديث القدسي، وأحسن ما يقال في تعريفه: إنه ما رواه النبي ρ عن ربه عزّ وجل، ونقتصر على هذا ولا نبحث هل هو من قول الله لفظاً ومعنى، أو من قول الله معنى ومن لفظ النبي ρ، لأن هذا فيه نوع من التكلّف وقد نهينا عن التكلّف .

2- ما يرويه الرسول ρ عن ربِّه يشتمل على ضمائر التكلُّم، وهي ترجع إلى الله عز وجل .

3- تحريم الله الظلم على نفسه وتنزيهه عنه مع قدرته عليه وذلك يدل على ضده وهو كمال عدله .

4- تحريم الله الظلم على العباد لأنفسهم ولغيرهم، لقوله: "فَلا تَظَالَمُوا" أي فلا يظلم بعضكم بعضاً .

5- أن الإنسان ضال إلا من هدى الله، ويتفرع على هذه الفائدة: أن تسأل الله الهداية دائماً حتى لا تضلّ .

6- شدَّة حاجة العباد إلى سؤال ربِّهم الهُدى والطعام والكسوة وغير ذلك من أمور دينهم ودنياهم .

7- أنَّ الله يحبُّ من عباده أن يسألوه كلَّ ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدِّين .

8- الحثّ على طلب العلم، لقوله: "كُلُّكُم ضَالٌّ" وهذا يذهب بالعلم . ولاشكّ أن طلب العلم من أفضل الأعمال، بل قد قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: "العلم لايعدله شيء لمن صحت نيته" .

9 ـ كمال ملك الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ العبادَ لا يبلغون نفعه وضرَّه، بل يعود نفعُهم وضرُّهم إلى أنفسهم .

10 ـ أنَّ العباد لا يسلمون من الخطأ بالليل والنهار، وأنَّ عليهم التوبة من ذلك والاستغفار، والذنوب على ثلاثة أقسام: قسم لابد فيه من توبة بالإجماع وهو الكفر، والثاني: ما تكفره الأعمال الصالحة وهو الصغائر، والثالث: ما لابد له من توبة عند الجمهور وهي الكبائر .

11- كرم الله عزّ وجل حيث يعرض على عباده بيان حالهم وافتقارهم إليه، ثم يدعوهم إلى دعائه عزّ وجل حتى يزيل عنهم ما فيهم من الفقر والحاجة .

[1] التعيين في شرح الأربعين، للطوفي (192/1- 193) .

12- أنَّ التقوى والفجور يكونان في القلوب .
13 - أنَّ ملكَ الله لا تزيده طاعة المطيعين، ولا تنقصه معاصي العاصين .
14 - كمال غنى وملك الله، وأنَّه لو أعطى عبادَه أوَّلَهم وآخرَهم كلَّ ما سألوه لم ينقص من خزائنه شيئاً .
15 - حثُّ العباد على الطاعة، وتحذيرهم من المعصية، وأنَّ كلَّ ذلك محصى عليهم.
16- أنَّ من وفَّقه الله لطريق الخير ظفر بسعادة الدنيا والآخرة، والفضل لله للتوفيق لسلوك سبيل الهُدى .
17 - أنَّ مَن فرَّط وأساء العمل ظفر بالخسران، وندم حيث لا ينفع النَّدم، فاللوم على نفسه .
فإن قال قائل: كيف يكون اللوم على نفسي وأنا قد قدِّر لي هذا؟ فالجواب: أنك حين فعلت المعصية أو تركت الواجب لم تكن تعلم أنه قُدِرَ لك هذا إلا إذا عملته، فاللوم عليك، لأن الرسل بلغت والقرآن حجة ومع ذلك تركت هذا كله، فاللوم عليك أنت[1] .

[1] شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص:243- 250)، وفتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله ، لعبد المحسن العباد البدر(ص: 86) .

أهـم المصـادر والمراجـع:

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

/ مصحف المدينة الالكتروني، برواية حفص عن عاصم .

/ أسباب نزول القرآن، الواحدي، ت: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط: 2، سنة:1412 هـ /1992م.

/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

/ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد الدمياطيّ، ت: أنس مهرة، دار الكتب العلمية،
لبنان، ط: 3، سنة: 2006م/ 1427هـ .

/ أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط: 5، 1424هـ/2003م .

/ إعراب القرآن وبيانه، مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط: 1 ، سنة: 1415 هـ .

/ إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط: 1، سنة: 1425 هـ .

/ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 1394هـ/1974م .

/ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي،ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، سنة: 1420 هـ .

/ تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، ت: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان - الأردن / عمان، ط: 1، سنة: 1421هـ - 2000م .

/ تفسير ابن كثير،ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط: 2، سنة: 1420هـ/1999م .

/ تفسير غريب القرآن، كاملة الكواري، دار بن حزم، ط: 1، سنة: 2008 .

/ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، سنة: 1997 م .

/ التفسير والمفسرون، د: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة .

/ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،وهبة الزحيلي،دار الفكر المعاصر، دمشق،ط: 2، سنة:1418هـ.

/ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: 1، سنة: 1414 هـ/1993 م .

/ التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع ،دار الإيمان – الإسكندرية، سنة: 2006 .

/ جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري،ت: أحمد شاكر،مؤسسة الرسالة،ط: 1، سنة: 1420 هـ/2000م.

/جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، ت: د: مروان العطيَّة ود: محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط: 1، سنة: 1418 هـ/1997 م .
/ الجدول في إعراب القرآن الكريم، ت: محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط: 4، سنة: 1418 هـ .
/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، سنة: 1415 هـ .
/ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، سنة: 1422 هـ .
/ السراج في بيان غريب القرآن، محمد الخضيري، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط:1، سنة: 1429 هـ/ 2008 م .
/ الصحيح المسند من أسباب النزول، مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: 4، سنة: 1408هـ/1987م .
/غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني، ت: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة سوريا، ط :1، سنة: 1416 هـ /1995 م .
/ غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد الصفاقسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ت: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط: 1، سنة: 1425 هـ/ 2004 م .
/ محاسن التأويل، القاسمي،ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط: 1، سنة: 1418هـ.
/ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: 1412 هـ .
/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، سنة: 1422هـ .
/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ/ 1995 م، ت: عبد الرزاق غالب المهدي .
/النكت والعيون، الماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

<u>ثانيا</u>: كتب الحديث وعلومه .

/ أسد الغابة، ابن الأثير، دار الفكر – بيروت، سنة: 1409هـ/ 1989م .
/ إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ت: د: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: 1، سنة: 1419 هـ/1998م .
/ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، سنة: 1415 هـ .
/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: 1، سنة: 1412 هـ/ 1992 م .

/ تاريخ الثقات، العجلي، دار الباز، ط: 1، سنة:1405هـ/1984م .
/ تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: 1، سنة: 1419هـ/1998م .
/ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: 1، سنة: 1326هـ .
/تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبد الله البسام، اعتنى به: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة، ط: 10، سنة: 1426 هـ/ 2006 م
/ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت .
/ التاريخ الكبير،البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان .
/ التعيين في شرح الأربعين، نجم الدين الطوفي، ت: أحمد حَاج محمّد عثمان، مؤسسة الريان (بيروت - لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة - المملكة العربية السعودية)، ط: 1، سنة: 1419 هـ/1998 م .
/ التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط: 1، سنة: 1429 هـ/2008م .
/ الثقات، ابن حبان، ت: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط:1 ، سنة: 1395هـ/ 1975م .
/ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب، ت: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 5، سنة: 1422هـ/2001م .
/ غريب الحديث، بن الجوزي، ت: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، سنة: 1405هـ/1985م .
/ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 4، سنة: 1425 هـ/ 2004 م .
/ سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت .
/السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : مكتبة المعارف – الرياض .
/ شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد، مؤسسة الريان، ط: 6 ، سنة: 1424 هـ/2003 م .
/ شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، سنة: 1426 هـ .
/صحيح البخاري، دار ابن كثير،بيروت،ط: 3،سنة: 1407هـ/ 1987م، ت: د مصطفى ديب البغا.
/صحيح مسلم، دار الجيل - بيروت و دار الأفاق الجديدة - بيروت .
/ طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، أكمله ابنه: أبو زرعة، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي .

/ الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ابن سعد، ت: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: 2، سنة: 1408 هـ .
/ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة -بيروت، سنة: 1379هـ .
/ فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، عبد المحسن العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ط: 1، سنة: 1424هـ/2003م .
/ الفتح المبين بشرح الأربعين، ابن حجر الهيتمي، عني به:أحمد جاسم محمد المحمد وقصي محمد نورس الحلاق وأنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط: 1، سنة: 1428 هـ/2008 م .
/ لسان الميزان،ابن حجر العسقلاني، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط:1، سنة: 2002 م .
/ مسند أحمد بن حنبل، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط: 1، سنة:1416هـ/1995م .
/مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،نور الدين الملا الهروي،دار الفكر، بيروت، لبنان، ط:1،سنة: 1422هـ
/ المنهاج شرح صحيح مسلم ، النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 2، سنة: 1392هـ .
/ المُعْلم بفوائد مسلم، المازري، ت: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر والمؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط: 2، سنة: 1988 م .
/ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، سنة: 1399هـ/ 1979م .

<u>ثالثا: كتب اللغة وعلومها</u> .

/ جمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ت: 1، سنة:1987م.
/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، سنة: 1407 هـ/ 1987 م .
/ القاموس المحيط، الفيروزآبادى، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت – لبنان، ط: 8، سنة: 1426 هـ/ 2005 م .
/ لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط:3 .
/معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط:1، سنة: 1399هـ/ 1979م .
/ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار النشر : دار الدعوة .

رابعا: بحوث ودراسات:

/ التفسير التحليلي مفهومه، وضوابطه، وعناصره، ومصادره مع دراسة تطبيقية على سورة (الفاتحة)، د: العباس بن حسين بن علي الحازمي، مج: 4 من العدد: 29، لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات .

/علم شرح الحديث دراسة تأصيلية-رسالة دكتوراه، للطالب: بسام بن خليل الصفدي، جامعة غزة، سنة: 1436هـ /2015م .

/ مجموعة مقالات لخالد بن سعود البليهد، نشرت بموقع صيد الفوائد، كل واحد منها شرح حديثا من الأحاديث السبعة المقررة في البرنامج .

/ مجموعة مقالات لعبد العال بن سعد الرشيدي، نشرت في ملتقى الألوكة، كل واحد منها شرح حديثا من الأحاديث السبعة المقررة في البرنامج .

فهرس المحتويـات

مقدمة .....

الباب الأول: التفسير التحليلي:

المحاضرة الأولى: مباحث تمهيدية 5-13

المحاضرة الثانية: مقدمات نظرية في التفسير التحليلي 14-22

المحاضرة الثالثة: بين يدي السورة(سورة الممتحنة).....23-26

المحاضرة الرابعة: النهي عن موالاة الكفار (من الآية 1 إلى الآية 3).....27-32

المحاضرة الخامسة: التأسي بإبراهيم والمؤمنين معه في تبرئهم من الكفار (من الآية 4 إلى الآية).....33-38

المحاضرة السادسة: التفصيل في معاملة الكفار بين المباح والممنوع (من الآية 8 إلى الآية 9) 39-41

المحاضرة السابعة: امتحان المؤمنين للمهاجرات والأحكام المتعلقة بذلك (من الآية 10 إلى الآية 11)..... 42-47

المحاضرة الثامنة: مبايعة النبي ρ للمؤمنات (من الآية 12 إلى الآية 13) 48-51

الباب الثاني: الحديث التحليلي:

المحاضرة الأولى: مقدمات نظرية في الحديث التحليلي..... 53-60

المحاضرة الثانية: حديث " إنما الأعمال بالنيات "..... 61-69

المحاضرة الثالثة: حديث "الإسلام والإيمان والإحسان"..... 70-79

المحاضرة الرابعة: حديث "لا يؤمن أحدكم حتَّى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسه".....80-84

المحاضرة الخامسة: حديث "لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشوا، ولا تَبَاغَضُوا،...".....85-91

المحاضرة السادسة: حديث "إن الحلال بين وإن الحرام بين ...".....92-98

المحاضرة السابعة: حديث "ما نَهَيتُكُمْ عَنْهُ، فاجْتَنِبوهُ...".....99-104
المحاضرة الثامنة: الحديث القدسي: "يا عِبادي إنّي حَرَّمْتُ الظُّلمَ على نَفسي..."...105-111
أهم المصادر والمراجع 112-115
فهرس المحتويات 116